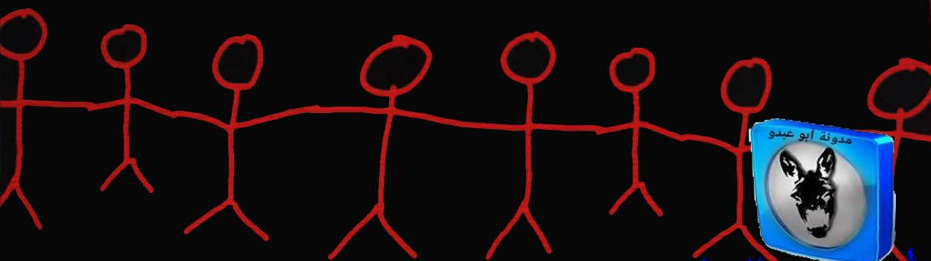


غزة

المقاومة والممانعة

ديسمبر ٢٠٠٨ - يناير ٢٠٠٩

مُحمَّد سَليمْ العوَّا

مكتبة الشروق الدولية

غــزة
المقاومة والممانعة

الطبعة الأولى

المحرّم ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

مكتبة الشروق الدولية

٩ شارع السعادة - أبراج عثمان - روكسي - القاهرة
تليفون وفاكس : ٢٤٥٠١٢٢٨ - ٢٤٥٠١٢٢٩ - ٢٢٥٦٥٩٣٩
المكتبة: ٢ شارع البورصة الجديدة - قصر النيل - القاهرة
تليفون وفاكس: ٢٣٩٣٨٠٧١ - ٢٣٩١٣٠٧٢
Email: shoroukintl@hotmail.com
shoroukintl@yahoo.com

غزة

المقاومة والممانعة

ذو الحجة ١٤٢٩ - المحرم ١٤٣٠ هـ
ديسمبر ٢٠٠٨ - يناير ٢٠٠٩م

محمد سليم العوا

مكتبة الشروق الدولية

البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

العوا، محمد سليم.

غزة: المقاومة والممانعة، ذو الحجة ١٤٢٩ ـ المحرم ١٤٣٠هـ/ ديسمبر ٢٠٠٨ ـ يناير ٢٠٠٩ ـ محمد سليم العوا.

ط١ ـ القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٩م.

٩٢ص؛ ١٧ × ٢٤سم.

تدمك 2- 59 - 6278 - 977 - 978

١ ـ المقاومة الفلسطينية.

٢ ـ الصراع العربى الإسرائيلى.

أ ـ العنوان. ٣٥٥,٠٢

رقم الإيداع ٣٦٥٧ / ٢٠٠٩م

الترقيم الدولى I.S.B.N. - 978- 977- 6278 - 59 - 2

المحتويات

الموضوعات	الصفحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من الوحي الرباني:

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾
وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ
مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ
قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾
وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ ﴾ صدق الله العظيم

[آل عمران:١٦٦-١٦٩]

إهـداء

إلى للذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه
ومنهم من ينتظر
وما بدّلوا تبديلا

ذكرى..

قال البلاذري في فتوح البلدان:

«. . . .فأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوّهم بقرية من قرى غَزَّة يقال لها داثن، كانت بينهم وبين بَطْرِيقِ غزة، فاقتتلوا فيها قتالًا شديدًا، ثم إن الله تعالى أظهر أولياءه وهزم أعداءه، وفضَّ جمعهم، وذلك قبل قدوم خالد بن الوليد الشام. . . . .»(*).

(*) [أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م، ص ١٥١. وكلمة بَطريق تعريب لكلمة Patricuis اللاتينية وهي رتبة في الجيش الروماني أنشأها الإمبراطور قسطنطين، وليس لها علاقة بكلمة (بطرق) التي هي رتبة كنسية. انظر: أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق ـ فتح بلاد الشام، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، ص ٢١٤].

هذا النص

منذ بدأ العدوان الصهيوني على أهلنا في قطاع غزة انشغل به العالم كله، ولاسيما بالمآسي الإنسانية التي عانى منها الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال المدنيين، وبهدم آلاف المساكن على رؤوس أصحابها وساكنيها-وباستعمال الأسلحة المحرمة دوليًا-وبعضها سلاح نووي- ضد السكان العزّل في القطاع كله.

وكان طبيعيا أن يكون ما يجري في غزة، منذ بدأ ذلك العدوان، أكبر همنا وأعظم مشغلتنا. لكنن كنا نهتم بأمور وراء ما ينزعج له العالم من المآسي الإنسانية وجرائم الحرب. كنا نهتم بالعمل المقاوم في مواجهة العدوان، وبالوعي بالقضية الفلسطينية بوجه عام، وبقضية الممانعة الواجبة ضد المخططات الدولية والمحلية الرامية إلى إخراج فلسطين من دائرة الاهتمام الشعبي العربي، وإلى زرع الفتنة بين بعض الشعوب وبعضها الآخر، وبين حكام بعض الدول وحكام دول أخرى.

وقد حاولت أن أؤدي بعض واجب الاهتمام بهذه القضايا في لقاءات مع بعض القنوات التفلزيونية الفضائية[1]. وفي محاضرات ألقيتها ضمن البرنامج الأسبوعي لمحاضراتي في جمعية مصر للثقافة والحوار[2]، وأذيعت محاضرات الجمعية الثلاث، كل في الأسبوع الذي ألقيت فيه، على قناة الجزيرة الفضائية، وبثت من خلال موقعي على الشبكة الدولية للمعلومات والاتصالات (الإنترنت)[3].

وقد رغب إلي الأخ العزيز المهندس عادل المعلم في إعداد هذه الأعمال المنطوقة في

(١) برنامج القاهرة اليوم، مع الإعلامي النابه الأستاذ عمرو أديب، يومي ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨ و٦/ ١/ ٢٠٠٩؛ والبرنامج اليومي لقناة العالم عن المقاومة والصمود في غزة يوم ١٤/ ١/ ٢٠٠٩.

(٢) أيام السبت ٣/ ١/ ٢٠٠٩ و١٠/ ١/ ٢٠٠٩ و١٧/ ١/ ٢٠٠٩.

(٣) www.el-awa.net

نص مكتوب تنشره مكتبة الشروق الدولية. وعلى الرغم من كثرة الأعباء التي تستهلك جميع الأوقات(!) فقد وجدت هذه الرغبة مما لا يجوز التردد فيه أو التوقف عن تلبيته؛ ففرغت نفسي لأنجز هذا النص الذي يجده القارئ بين يديه، راجيا أن يجعل الله فيه من النفع والذكرى، بفضله ونعمته، أضعاف ما نستطيع نحن بجهدنا المحدود صنعه. متذكرًا دائما أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وحده.

وقد حاولت جاهدًا أن أخلِّص النص المكتوب من خصائص النص المنطوق، لكنني تركت بعض تلك الخصائص عامدا لدلالتها الخاصة، في موضعها، على الظروف التي قيلت فيها. ومن أهم ما بقي من تلك الخصائص أن المعاني تتوالى على القارئ في استرسال يبدو في بعض الأحيان مرتجلا لأن أصله كان كذلك، ومنها بقاء بعض الكلمات أو العبارات التي قيلت باللهجة الدارجة (العامية) المصرية، أو بعامية أخرى، ووجدت أن تحويلها إلى تعبير عربي سيفقدها بعض مذاقها في سياق النص فآثرت تركها كما قيلت.

وسيجد القارئ حواشي قليلة في بعض فصول النص؛ بعض هذه الحواشي كان استطرادًا في النص المنطوق وجدت الحاشية أليق به من المتن، وبعضها إضافات ظننتها لازمةً لإيضاح معنىً أو التذكير بواقعة أو شرح أصل فكرة وردت في الكلام.

ومن الضروري أن أذكر أنني لم أَعْنَ في أي جزء من النص بذكر جميع فصائل المقاومة، وإنما ذكرت ما ورد منها على خاطري وقت الكلام، أو ما كنت أنقل عن قائد من قوّاده أو متحدث باسمه. ولم يكن قط في نيتي إعلاء شأن بعض المقاومين وغمط حق غيرهم. بل المقاومون الصامدون كلهم عندي سواء، وأنا أدعو لهم في كل حين بأن يكونوا ممن يشملهم قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

❁ ❁ ❁

والشكر مستحق لكل الذين أعانوني على صنع هذا النص في الوقت شديد الضيق الذي صنع فيه. والدعاء موصول لأهلنا في فلسطين كلها، وفي غزة بوجه خاص، أن يخلصهم الله من نير الاحتلال الصهيوني ويرد إليهم حقهم المسلوب، ويتقبل شهداءَهم، ويداوي جرحاهم، ويربط على قلوبهم، ويشفِ بنصر قريب صدورهم مما عانوا وتحملوا.

ولمكتبة الشروق الدولية، ولأخي المهندس عادل المعلّم ما يستحقان من الثناء للاهتمام الدائم بقضايا الأمة، والعمل على نشر كل ما ينفع الناس في شأنها، ويذكر بتفاصيلها، ويحفظ دقائقها من أن يذهب بها التشويه المتعمّد من العدو، أو الغفلة والنسيان من الصديق.

والحمد لله رب العالمين،

محمد سليم العوّا

القاهرة في: ٢٥ من المحرم ١٤٣٠هـ

٢٢/ ١/ ٢٠٠٩م

(١)

غزة .. التاريخ والواقع

أول فتح في بلاد الشام

كانت غزة أول مدينة من المدن الشامية يفتحها المسلمون ويستعيدوا حكمها العربي بعد أن بقيت في يد الروم قرونًا عديدة. وقد تم ذلك الفتح في السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٤م) وهي السنة الثانية من خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولا خلاف بين مؤرخي الفتوح الإسلامية في أن غزة هي أول مدينة فتحها الله على المسلمين من الروم، ولا في أن ذلك كان في تلك السنة من خلافة أبي بكر. وحدَّد الصديق الكريم المؤرخ الجليل الأستاذ أحمد عادل كمال تاريخ ذلك الفتح بيوم ٢٤ من ذي الحجة سنة ١٢هـ = ١/ ٣/ ٦٣٤م.

والرواية التي يرجحها الأستاذ أحمد عادل كمال تقول: إن الفتح كان على يد كتيبتين من الجيش الإسلامي، قائد إحداهما أبو أمامة الصدي بن عجلان الباهلي، وقائد الثانية زمعة بن الأسود؛ وكان قوام كل كتيبة خمسمائة رجل. وكان جيش الروم مكونًا من ستة كتائب قوام كل منها خمسمائة رجل فكانوا ثلاثة آلاف في مواجهة ألف من المسلمين(!) ثم لحق بجيش المسلمين بعد هزيمة الروم في داثن يزيد بن أبي سفيان، الذي كان أبو بكر قد ولاه قيادة جيش الشام، فاتبعوا الروم وطاردوهم إلى أن خرجوا من غزة وسائر فلسطين كما سيأتي.

وثمة رواية تقول إن فتح غزة كان على يد جيش يقودة عمرو بن العاص لكنها لا تثبت سندا ولا تصح متنًا على نحو ما حقق الأستاذ أحمد عادل كمال.[٤]

(٤) أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق ـ فتح بلاد الشام، دار النفائس، بيروت ١٤١١هـ = ١٩٩٠م، ص٢٠٨-٢١٤.

وعلى ذلك يكون بين عودة غزة من الحكم الاستعماري الاستيطاني الروماني وبين العدوان الصهيوني الأخير عليها نحو ١٤١٧ سنة هجرية، و١٣٧٤ سنة ميلادية. وقد فتحت في ٢٤ من ذي الحجة سنة ١٢هـ ويدأ العدوان الصهيوني الأخير عليها في ٢٩ من ذي الحجة سنة ١٤٢٩هـ (!)[٥]

مدينة عربية حررها المسلمون

وأقدم من سكن غزة قوم من الكنعانيين، وهم عدة قبائل عربية استوطنوا فلسطين نحو سنة (٢٥٠٠) قبل الميلاد. والقبيلة التي سكنت غزة منهم هي قبيلة العناقيين وهم الذي أعطوا غزة اسمها الذي عرفت به إلى اليوم.[٦] واسم غزة يعني في أصله اللغوي (القَويّ) و(ما يدَّخَرُ) و(كنوز).[٧]

وقد كانت غزة متجر أهل الحجاز، ومن التجارة فيها كوّن عمر بن الخطاب ﷺ ثروته في الجاهلية.[٨] وقد سماها العرب «غزة هاشم» نسبة إلى هاشم بن عبد مناف، جد النبي ﷺ الذي توفي بها ودفن فيها[٩] في إحدى رحلاته التجارية من مكة إلى غزة.

وبعد أن فتح المسلمون غزة، وأعادوها إلى الحكم العربي بعد أن استعمرها الروم زمنًا طويلا، ساروا في أثر جيوش الروم حتى طردوهم من فلسطين ومن الأردن إلى بيت المقدس

---

(٥) أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق ـ فتح بلاد الشام، المصدر السابق ذكره، ص ٢٠٨؛ والبلاذري، فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ص ١٨٨؛ وياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت ج٢ ص ٤٧٦ رقم ٤٥٤٢.

(٦) حسين الجليلي، معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية وتفسير معانيها، مركز باحث للدراسات، بيروت ٢٠٠٢ ص ٦؛ ونعوم بك شقير، خلاصة تاريخ سوريا، دار الكتب المصرية ٢٠٠٥، ص ٦٧٦.

(٧) حسين الجليلي، المصدر سالف الذكر، ص ١٨٩.

(٨) أبو اسحاق الاصطرخي، مسالك الممالك، ليدن ١٨٧٠ ص ٥٨؛ وابن حوقل البغدادي، المسالك والممالك، ليدن ١٨٧٢ ص ١١٣.

(٩) المصدران السابقان؛ وياقوت، المصدر السابق، ج٤ ص ٢٢٩ رقم ٨٨٤٩؛ والأب أ.س. مرمرجي الدومسكي، بلدانية فلسطين العربية، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٩٩٧، ص٢٥٣.

وإلى قيسارية[١٠] فتحصنوا بهما فتركهم المسلمون.[١١] وهكذا استعاد المسلمون غزة، وسائر فلسطين إلى رحاب العروبة في ظلال الإسلام وحرروها من الاستعمار الروماني.

وصفها التاريخي

كانت غزة متجر أهل الحجاز، وهي آخر مدن فلسطين أو أول بلاد الشام مما يلي مصر.[١٢] وهي كثيرة الشجر كسماط ممدود لجيش الإسلام... ولكل صادر ووارد إلى الديار المصرية والشامية[١٣] وغزة مدينة متسعة الأقطار، كثيرة العمارة، حسنة الأسواق، بها المساجد العديدة، ولا سور عليها... ذات جوامع ومدارس وزوايا وبيمارستان (مستشفى) وأسواق. صحيحة الهواء؛ وشرب أهلها من الآبار وبساحلها البساتين الكثيرة، وأجلّ فاكهتها العنب والتين، وبها بعض النخيل.[١٤] وهي بأرض مستوية وفيها من الجوامع والمدارس والعمارات الحسنة ما يورث العجب... وهي مملكة متسعة.[١٥]

وفي غزة ولد الإمام الشافعي، والنبي سليمان. قال العليمي: ولو لم يكن لها من الفخر إلا مولدهما بها لكفاها.[١٦] وقال القزويني: كفاها معجزًا أنها مولد الإمام محمد بن إدريس الشافعي(!) ولد بها سنة ١٥٠هـ.[١٧]

غـزة الآن

يقال لغزة منذ عهد الانتداب البريطاني «قطاع غزة». وهو جزء من فلسطين التاريخية

---

(١٠) مدينة فلسطينية قرب طبرية، تقع بين عكا ويافا، فتحت سنة ١٣هـ. البلاذري، السابق، ص ١٩١؛ وياقوت، السابق، ج٤ ص ٤٧٨ رقم ١٠٠٢٧.

(١١) مرمرجي الدومسكي، السابق، ص ٢٥٥.

(١٢) الاصطرخي، السابق؛ وابن حوقل، السابق؛ والقلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ ص ٩٨.

(١٣) شمس الدين الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ليبزج ١٩٢٣، ص ٢١٣.

(١٤) القلقشندي، السابق.

(١٥) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، باريس ١٨٩٤، ص ٤٢

(١٦) عبد الرحمن العليمي الحنبلي، الأنس الجليل بتأريخ بيت المقدس والخليل، المطبعة الوهبية بمصر ١٨٦٦، ص٤٢٢.

(١٧) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ط ألمانيا ١٨٤٩، ص ١٥٠.

تخضع لحكم عسكري مصري من سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٥٦ حين احتله الصهاينة لمدة خمسة أشهر في أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦، وعاد القطاع إلى الحكم المصري منذ مارس سنة ١٩٥٧ عندما انسحب منه الصهاينة. وفي حرب سنة ١٩٦٧ احتل الصهاينة القطاع وبقوا فيه إلى شهر سبتمبر سنة ٢٠٠٥ عندما انسحبوا منه بقرار منفرد تحت وطأة المقاومة العنيفة ضد الاحتلال.

وقد مرّ معنا وصف المؤرخين المسلمين لغزة بأنها «مملكة متسعة»، وأنها «مدينة متسعة الأقطار». وقطاع غزة أقرب أرض فلسطين إلى مصر، لا تزيد المسافة بين أول مدنها (رفح الفلسطينية) وبين الحدود المصرية على ثلاثة كيلو مترات، ورفح منقسمة إلى شطرين أحدهما وهو الأصغر يسمّى رفح المصرية، والثاني هو رفح الفلسطينية، وهي مكونة من عشرة أحياء وتجمعات سكنية، وأغلب سكانها من اللاجئين الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا حق القوة الصهيونية الغاشمة - إن صح أن للقوة حقًا، وهو لا يصح أصلا - وتبلغ مساحة مدينة رفح ٥٥ ألف دونم (= ٠٠٠ , ٠٠٠ , ٥٥م٢). كان عدد سكان رفح سنة ١٩٢٢م (٥٩٩) نسمة، وذلك أول تعداد لسكان رفح. وبلغ عددهم سنة ٢٠٠١ نحو (١٤٥٢١٨) نسمة، وهذا هو آخر تعداد متاحة لنا نتائجه.

ويحيط بمدينة رفح الفلسطينية خمس مستوطنات إسرائيلية تقع على حدودها الغربية وتحتل مساحة ٤٨٠٠ دونم (= ٠٠٠ , ٨٠٠ , ٤م٢) من أفضل أراضي المدينة إذ يقع بها أكبر خزان مائي جوفي في قطاع غزة كله، وماؤه هو أعذب مياه قطاع عزة الجوفية قاطبة.

وهذه المستوطنات هي: بدولح (أسست عام ١٩٨٣)، ومستوطنة بني عتصمونة (أسست عام ١٩٧٩)، مستوطنة موراغ (أسست عام ١٩٨٢)، مستوطنة بيت سدية (أسست عام ١٩٨٩)، مستوطنة رفيح يام (أسست عام ١٩٨٤).

ومدينة غزة نفسها هي أكبر مدن القطاع، وثانية كبرى المدن الفلسطينية بعد مدينة بيت المقدس. وسكانها يبلغ عددهم نحو ٤٠٠ ألف نسمة، والقطاع كله يضم أكثر من مليون ونصف المليون نسمة، في مساحة ٣٦٠ كم٢. ويبلغ طول القطاع ٤١كم وعرضه يتراوح بين ٦ و١٢كم.

ونسبة الكثافة السكانية في القطاع من أعلى نسب الكثافة السكانية في العالم، ففي المدن

يبلغ عدد السكان لكل كم² نحو (٢٦٠٠٠) نسمة، وفي المخيمات يصل العدد إلى نحو (٥٥٠٠٠) نسمة لكل كم².

وقطاع غزة محاصر حصارًا كاملا فحدوده الشرقية والشمالية مع الكيان الصهيوني، ويحده غربا البحر الأبيض المتوسط، وتحده من الجنوب الغربي مصر. وللقطاع سبعة معابر يُحكَمُ الحصار عليه من خلالها، فلا يدخل إليه ولا يخرج منه شيء إلا بعد مروره على واحد منها. ومن هذه المعابر ستة تحت السيطرة الصهيونية الكاملة هي: المنطار (كارفي) وكرْم أبو سالم (كيرم شالوم) وبيت حانون (إيريز) والعودة (صوفا) والشجاعية (نحال عوز) والقرارة (كيسوفيم)؛[١٨] والمعبر السابع الذي يقع بين قطاع غزة ومصر ـ بلا اتصال مع الأراضي المحتلة ـ هو معبر رفح (اسمه الصحيح قانونا هو منفذ رفح). وهذا المنفذ هو بوابة الوصل الوحيدة بين أهل قطاع غزة وبين عمقهم العربي، من خلاله يتم التواصل بينهم وبين الشعب المصري، ومن خلال الموانى الجوية والبحرية المصرية يتم انتقالهم إلى سائر البلدان العربية وإلى بلاد العالم كافة. وفي فصول هذ النص بيان لطبيعة العلاقة بين مصر من جانب وحكومة فلسطين من جانب آخر، وبين معبر رفح.

غزة بعد العدوان

خلَّف العدوان الصهيوني الأخير على غزة آثارًا مدمرة على الصُّعد كلها. فقد دمرت تدميرًا كاملا مناطق بأسرها من قطاع غزة تحولت المباني فيها إلى أكوام من التراب.

وأصبحت مئات العائلات بلا مأوى. ولا تهول المتابع كثرة أعداد الضحايا بقدر ما يهوله أن ٤٣٪ منهم هم من النساء والأطفال.

لقد انهارت البنية التحتية في القطاع تمامًا، وعمد المعتدون الصهاينة إلى تخريب جميع مظاهر الحضارة في القطاع كله. ورصدت ذلك مراكز حقوقية قالت إن حال القطاع تراجع

(١٨) من الواجب على السياسيين والإعلاميين العرب كافة أن لا يستخدموا الأسماء العبرية التي جعلتها في المتن بين قوسين، لأن إهمال الأسماء العربية يجعلها تسقط في بئر النسيان بما يفقد مواضعها هويتها العربية، واستعمال الأسماء العبرية يرسخ وجود المحتل في أرض فلسطين. وكلا الأمرين خطر حقيقي على قضيتنا القومية في فلسطين.

إلى الوراء عشرات السنين.

بلغ عدد الشهداء ١٣٠٠ شهيدًا منهم ٨٩٥ مدنيا و٤١٠ طفلا و١٠٤ من النساء. وبلغ عدد شهداء المقاومة نحو ٤٥٥ شهيدًا. وبلغ عدد الجرحى والمصابين ٥٣٤٠ منهم ١٨٥٥ طفلا و٧٩٥ امرأة.

ودمر ٥٠٠٠ منزل بشكل كلي، منها ٤٩٠ منزلا دمرتها الصواريخ الجوية، وتم تجريف أكثر من ٢٠٠٠٠ منزل، ودمرت تماما ٢٨ منشأة عامة مدنية من بينها المجلس التشريعي وعدة وزارات وبلديات ومرافئ.

ودمر بشكل كلي ٣٠ مسجدًا، ودمر جزئيًا ١٥ مسجدًا، وهدّمت بفعل القصف ١٠ مؤسسات خيرية، و١٢١ ورشة صناعية أو تجارية. وألحقت أضرار بنحو ٢٠٠ ورشة أخرى، و٦ مراكز طبية، وخمس مؤسسات إعلامية، و٢٩ مؤسسة تعليمية وجرّفت آلاف الدونمات من الأراضي المزروعة. وقصفت ٥٢ منشأة للأنروا منها ٣٧ مدرسة ستة منها كانت تستخدم لإيواء المواطنين الذين هدمت منازلهم.

❋ ❋ ❋

وفصول هذا النص خلاصة لموقفنا من هذا العدوان الغاشم، ومن العدو الصهيوني وأوليائه.

❋ ❋ ❋

(٢)

اليوم الثامن

(٦ من المحرم ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩/١/٣)

عندما بدأ العدوان الصهيوني الآثم على غزة الصامدة يوم السبت الموافق ٢٨ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ = ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨م كنا على موعد مع اللقاء المعتاد لرواد جمعية مصر للثقافة والحوار. لكن المعلومات التي كانت أمامنا في مساء اليوم الأول من أيام العدوان لم تكن تكفي للحديث عما يجري. لذلك اعتذرت للأخوات والإخوة الذين طلبوا تناول الموضوع مرجئا ذلك إلى الأسبوع الذي يليه.

وهكذا كان هذا اللقاء، يوم السبت ٦ من المحرم ١٤٣٠هـ = ٣/ ١/ ٢٠٠٩م وهو اليوم الثامن من أيام العدوان، هو اللقاء الأول المخصص للموقف في غزة. الموقف الذي لم يخرج حتى نهاية العدوان عن أن يكون ـ في الجانب الفلسطيني ـ موقف الصمود البطولي، والمقاومة الباسلة غير المسبوقة، وإحياء واجب الممانعة وتقوية الإحساس بوجوبها في العالم كله، لا في العالم العربي وحده. ولم يخرج ـ في الجانب الصهيوني عن أن يكون تعمد الإبادة الجماعية بكل ما لدى الجيش الصهيوني من قوة تدميرية للأشياء والناس.

وهذا الفصل حاصل ما كان في ذلك اليوم من حديث ومناقشات وأسئلة وإجابات.

❁ ❁ ❁

بدأ العدوان يوم السبت ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨ بقصف بالطائرات من الصباح المبكر، ويوم السبت عند اليهود يوم لا تجوز فيه الحركة؛ إذا كان سراج أحدهم موقدًا لا يستطيع أن ينفخ

فيه ليطفئه، وإذا كان النور الكهربائي مضاءً لا يستطيع أن يضغط الزر ليطفئه، أو كان يريد أن يوقد النور لا يستطيع كذلك أن يضغط الزر ليوقده. لكن العقيدة اليهودية الصهيونية سقطت عندما كانت المصلحة في أن يفاجئوا أهلنا في فلسطين بعدوان يوم السبت، فتناسوا العقيدة التي يرونها مقدسة. إنك إذا قلت ليهودي تعالَ إلى اجتماع لعملٍ يوم السبت، يقول لك السبت لا أستطيع، تعالَ لنحل مشكلة قانونية يقول السبت لا أستطيع، تعالَ أُكْسِبْكَ مالا ـ على حبهم الجم له ـ يقول السبت لا أستطيع. لكن أن يَقْتُلَ الأبرياء ويُهلِكَ الحرثَ والنسلَ العربي المسيحي والمسلم، ويهدم المساجد والكنائس والمدارس والبيوت، يوم السبت، يستطيع!

فعلوا ذلك يوم السبت وكان هذا هو عنصر المفاجأة الوحيد تقريبا في حربهم على غزة. ذلك أن أهلنا في غزة، وأهلنا في فلسطين، يتوقعون العدوان كل يوم. وأهل غزة منذ بدأ الحصار قبل عام ونصف العام وهم ينتظرون اليوم الذي يقع فيه عدوان عسكري إسرائيلي شديد القسوة والجبروت عليهم، لكن لم يكونوا يتوقعون أن يخالف اليهود عقائدهم المعلنة فيضربوهم يوم السبت!! وربما كان هذا الاستبعاد خطأً، لكنه خطأ نافع لأنه يبين، للمتشككين فيما نقوله عن الصهاينة، واستخفافهم بالعهود، واستهانتهم بالأديان بما فيها دينهم، أنه أقل من الحقيقة.

قال لي أحد الإخوة الذين يفكرون في المسألة السياسية تفكيرًا مستمرًا إنهم أخذوا هذا الدرس من الرئيس أنور السادات. عندما حاربهم يوم السبت يوم «عيد الغفران». لقد كان متأكدًا، طبقا لتقاليدهم، أنهم لن يكونوا في حالة من الاستعداد الكامل ليردوا العدوان. فردوا إلينا، أو لأهلنا في غزة، هذا الصاع بأن ضربوهم يوم السبت.

توقع الخلق كلهم، وكان كثيرون من المحبين ترتجف قلوبهم، توقعوا أن العدوان الصهيوني بالطائرات سيستمر يومًا إلى يومين، أقصى تقدير كان ثلاثة أيام، ثم تنهار الحكومة الفلسطينية في غزة، وتنهار المقاومة الفلسطينية، لا في غزة وحدها وإنما في كل مكان، بل وينهار الشعب الفلسطيني في الخارج، أيضًا، لأن الشعب الفلسطيني عندما يرى أن قتلاه كانوا في أول يوم ٨٠ ثم أصبحوا ٩٠ ثم ١٠٠ وبلغ عددهم في آخر اليوم الأول فقط ٢٤٠ [١٩]، لابد، في نظرهم، أن ينهار.

---

(١٩) الرقم النهائي لعدد الشهداء والجرحى في الفصل (٣).

الذي حدث عكس ذلك تمامًا، الذي حدث أنه بمجرد أن بدأ العدوان أصبح كل الشعب الفلسطيني في غزة، تعداد الناس في غزة أكثر من مليون ونصف المليون، أصبح هذا الشعب كأنه مصهور في بوتقة واحدة، كأنه سبيكة من عناصر مختلفة أعيد صنعها ودمجها، وكأن الناس لا ينتمون لشيء إلا لبلدهم وإلى دينهم وإلى مقاومة هذا العدو الصهيوني.

المقاومة ضد العدو الذي يستخدم الطائرات مقاومة شبه مستحيلة لأن المقاومين ليس عندهم مدفع مضاد للطائرات، ولا مدفع مما يحمل على الكتف فيسقط الطائرة، مثل الذي كان عند إخواننا في حزب الله في حرب يوليو ٢٠٠٦، ولا عندهم أي قدرة عسكرية سوى قدرة المواجهة البرية والصواريخ التي وصلت إلى مدى ٤٠ كم ويتوقع أن تصل إلى ٥٠ كم داخل الأراضي المحتلة اليوم أو غدًا، أو متى شاء الله.

في اليوم الثالث من أيام العدوان بدأ الكلام المحلي، بالأحرى بدأ الكلام الإقليمي، عن ضرورة وقف العدوان فورا؛ وفي اليوم الرابع صباحًا بدأ الكلام الدولي عن ضرورة هدنة مؤقتة مدتها ٤٨ ساعة؛ الذين يتابعون مسيرة صراعنا العربي الصهيوني يعلمون أن الكلام عن أي هدنة من هدنة ١٩٤٨ إلى اليوم، أي كلام عن أي هدنة، يصدر عن أي جهة عربية أو أجنبية، لا يكون إلا عندما تخشى هذه الجهات الهزيمة على إسرائيل، أو تخشى أن تصيبها خسائر موجعة. في هدنة ١٩٤٨ كانت الميلشيات الصهيونية على وشك الاندحار التام فأُبرِمَتْ الهدنة وحدث ما حدث، وضاع ما ضاع، ونُكِّل بكتائبنا التي كانت تجاهد في فلسطين من كتائب الإخوان ومن كتائب الجيش التي كانت قد خرجت من الخدمة واتخذت لنفسها مواقع في مواجهة العصابات الصهيونية بقيادة البطل أحمد عبد العزيز رحمه الله.

في ١٩٥٦ ثم في ١٩٦٧ أوقفت الحرب فورا لأنه لا يجوز لإسرائيل أن تتوسع أكثر مما ينبغي أن تتوسع، ليس لمصلحة العرب إنما لمصلحة إسرائيل، لأنها لو دخلت في الكتلة البشرية المصرية لا أحد يعرف ما الذي سيجرى لها، فطُلِب أن يوقف العدوان بإنذارات دولية روسية وأمريكية لم تَرْمِ إلا إلى تحقيق مصلحة إسرائيل وتجنيبها مواجهة بشرية لا قبل لها بتحمل نتائجها.

في ١٩٧٣ عندما حدث الانتصار المشرف في الأيام التسعة الأولى كان لابد من تقرير وقف إطلاق النار في اليوم العاشر. والذين يذكرون منكم ١٩٧٣ يتذكرون أنه في اليوم العاشر

ذهب الرئيس السادات للبرلمان وأعلن أنه لا يريد أن يذهب إلى أبعد من الممرات[٢٠]، وأن هذه الحرب كانت استراتيجية محدودة المدى، وترتب على ذلك أن دخلت القوات الإسرائيلية إلى الأرض المصرية غرب قناة السويس فيما يسمى بالثغرة، وبدأ الصراع الداخلي بين قادة القوات المسلحة، فريق يقول: لابد أن نهاجم ونصفي هذه الثغرة، والفريق، الذي كان يؤيده الرئيس السادات، يقول لا نستطيع أن نهاجم هذه الثغرة ولا يجوز أن ندخل فيها. وعندما كتب السادات كتابه «البحث عن الذات» تبينًا أنه كان هناك اتفاق، إما صريح وإما ضمني، والغالب أنه صريح، بينه وبين الإدارة الأمريكية أن لا تحدث تصفية للثغرة لكي يكون اليهود في أرض مصرية والمصريون في سيناء، فعندما يتفق على فصل للقوات ويُرَتَّب انسحاب من الأماكن المحتلة يصبح الوضع أن اليهود ينسحبون من أرضنا ونحن ننسحب من أرضنا(!) قواتنا المسلحة تنسحب من أرضنا في سيناء حتى تصل إلى الأماكن المتفق عليها، التي بعد ذلك أصبحت «أ و ب و ج» في اتفاقية السلام النهائية، وقواتهم تخرج من السويس ومن الدفرسوار والمنطقة التي وقعت فيها الثغرة وتصبح هذه هي موازنة اتفاقية «الكيلو ١٠١» التي عملها هنري كيسنجر، الذي كان مستشار الأمن القومي الأمريكي وقتئذ ـ على ما أذكر ـ مع الرئيس السادات.

لقد طالت بنا هذه المقدمة لكي نصل إلى أن طلب الهدنة في اليوم الثالث محليا أو إقليميا، وطلب الهدنة مؤقتا في اليوم الرابع دوليا، ليس له دلالة من أي نوع كان، عند أي متتبع لمراحل هذا الصراع، إلا أن إسرائيل باتت تخشى مما سيحدث من هذه الحرب، لا أقول ستزول إسرائيل، ستنهزم إسرائيل، ستسقط إسرائيل في البحر، لا أقول هذا الكلام. هذا الكلام آتٍ وقته إن شاء الله، آتٍ لا ريب فيه، لكن ليس الآن. إنما الذي أقوله اليوم إن أصدقاء إسرائيل محليا وإقليميا وعالميا رأوا أن من الخطر استمرار هذا العدوان لأنه قد يؤدي إلى خسائر في إسرائيل لا تستطيع إسرائيل تحملها، وبالتالي لا يستطيعون هم تحملها، لأنهم يتحملون خسائر إسرائيل ماديًا، ويتحملون خسائر إسرائيل في الإمدادات العسكرية، ويتحملون خسائر إسرائيل معنوياً؛ إسرائيل حليفتهم بل رأس حربتهم ضد حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، فإذا انهزم حليفك فقد انهزمت أنت. وهم

---

(٢٠) الممرات يراد بها ممر متلا وممر الجدي شرق قناة السويس، ومن يسيطر على هذه الممرات غربا يمنع دخول أي قوة معادية إلى قلب الأرض المصرية، ومن يسيطر عليها شرقا يمنع العبور من مصر إلى سيناء.

لا يريدون أن يواجهوا شعوبهم وشعوب العالم بوجه منهزم، فأرادوا أن يوقفوا إطلاق النار. الحمد لله أن الصهاينة هم الذين رفضوا وقف إطلاق النار، الاقتراح الإقليمي تجاهلوه تماما ولم يعيروه التفاتا، الاقتراح الدولي الفرنسي ردوا عليه بأنهم لا يقبلون أي وقف لإطلاق النار إلا إذا خرجت حماس من غزة!!

آخر جزء في مسألة وقف إطلاق النار الذي حدث أمس (الجمعة ٢/ ١/ ٢٠٠٩) أن السيدة وزيرة خارجية أمريكا، التي باقي لها عدة أيام وتذهب إلى حال سبيلها، كونداليزا رايس، قالت أمس في تصريح سمعه العالم كله: إن أمريكا تسعى إلى وقف فوري لإطلاق النار. وقالت «إن أي وقف لإطلاق النار لا يجوز أن يعيد الأوضاع في غزة إلى ما كانت عليه قبل بدء الحرب» ـ الحرب هي العدوان الصهيوني على فلسطين وبوجه خاص على غزة ـ إذن وقف إطلاق النار، الذي تسعى إليه أمريكا فورا، مرتبط بإسقاط حكومة حماس، ووقف إطلاق النار مرتبط بدخول السلطة الموجودة في رام الله لتتولى مقاليد الأمور في غزة بدلا من الحكومة المنتخبة انتخابا حرًا.

خلاصة هذه القضية أن المطلوب إسرائيليا ودوليا: هو إزالة الحكومة الشرعية المنتخبة في فلسطين، الحكومة التي تمارس الصلاحيات التنفيذية والإدارية بتفويض من غالبية الشعب الفلسطيني الذي أولاها ثقته في انتخابات حرة نزيهة. الحكومة التي جاءت من قلب قوة المقاومة الأكبر عددًا والأقوى تسليحًا: من حماس. فإذا سقطت هذه الحكومة كان سقوطها ضربة قاضية، أو شديدة الإيلام لحماس.

في الوقت نفسه يجب أن نعي أن المطلوب ليس إزالة حماس وحدها، حماس مجرد جهة من جهات المقاومة، هناك الجهاد وهناك كتائب أبو علي مصطفى وكتائب الجبهة الشعبية وكتائب الأقصى وهناك ألوية الناصر صلاح الدين وعشرات الجهات المجاهدة الموجودة على الساحة الفلسطينية تختلف كثرة وقلة، تتباين قوتها التنظيمية والعسكرية، لكنها في النهاية فصائل مقاومة. وليس المقصود القضاء على فصيل واحد مقاوم لأن الباقين موجودون، فماذا يفعلون معهم؟ إنما المقصود هو القضاء على روح المقاومة، ليس الفلسطينية وحدها، بل على روح المقاومة التي تحمل السلاح التي تملك صواريخ القسام وجراد وفَجْر ومدافع الهاون وكل هذه الصواريخ والأسلحة المختلفة، في أي مكان كانت. والمقصود الأخطر،

والأهم، والأبعد مدىً: هو القضاء على كل روح ممانعة موجودة لدى كل إنسان عربي مسلم أو مسيحي من أهل هذه المنطقة سواء أكان ممن يعيشون فيها أم ممن يعيشون خارجها.

روح الممانعة تعني رفض الصهيونية، روح الممانعة تعني رفض الاحتلال، روح الممانعة تعني عدم الرغبة في العيش في مذلة، روح الممانعة تعني عدم قبول الإنسان أن يكون مسيطرًا عليه من قوة أجنبية تأمره فيأتمر وتنهاه فينتهي.

روح الممانعة هذه ليست موجودة في القادة السياسيين والقادة العسكريين وحدهم، هي موجودة في الأفراد، في آحاد الناس، هي موجودة في الصغار وفي الأطفال، أنت تسأل أي طفل الآن ماذا ستفعل بالبندقية التي اشتراها لك والدك؟ يقول سأقتل بها الإسرائيليين، ومن أين لك أن تعرف الإسرائيليين، يجيبك نعم أعرفهم في غزة قتلوا فلسطين. الطفل العربي الذي يشاهد المجزرة الصهيونية في فلسطين تبلور عنده شعور بأن هذه الصهيونية جاءت لتقضي على فلسطين، وإذا كانت ستقضي على فلسطين فستقضي على اليمن وتقضي على السعودية وتقضي على مصر وتقضي على قَطَرْ وتقضي على البقية الباقية من الحضارة العربية والثقافة العربية.

وأنا أستعمل هنا تعبير مُمَانِعة ولا أستعمل تعبير مُقَاوِمة، لأن المقاومة لها وقتها، المقاومة في وقت القتال، في وقت الحرب، لكن القوى المُمَانِعة هي التي تصنع الأفراد القادرين على القتال، التي تصنع الأفراد القادرين على رفض الخضوع للذل والاستسلام، المُمَانَعةُ هي التي تصنع الأفراد الذين يطالبون بالديمقراطية، الذين يطالبون بالحرية، ويطالبون بتحسين التعليم، ويطالبون بتحرير الجامعات من الحرس الجامعي، مثل الأساتذة الجامعيين الكرام (الدكتور عبد الجليل مصطفى ورفاقه) الذين رفعوا الدعوى وكسبوها منذ أيام، يطالبون بمنع تصدير الغاز إلى إسرائيل؛ مثل المحامي الكبير (السفير السابق إبراهيم يسري) الذي رفع دعوى بطلب وقف تصدير الغاز وصدر حكم بذلك. هذه الأنواع من النضال الحضاري ينبغي أن تستمر، فهذا الاستمرار وتراكم المواقف يقوي الأمة، يستمر سنينَ، يستمر عقودًا، يستمر إلى أن تأتي المعركة الفاصلة التي بعدها يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء.

روح الممانعة هذه لم يُحدِثْها في الناس أحد، روح الممانعة هذه نشأت مع أول محاولات لإقامة

المعسكرات الصهيونية، التي يسمونها مستوطنات، وهي المستعمرات الصهيونية للتأسيس الدائم للوجود اليهودي في أرض فلسطين في سنوات الثلاثينيات من القرن العشرين.

وحدثت الثورة الفلسطينية الكبرى في سنة ١٩٣٥ بقيادة الشهيد عز الدين القسام رحمة الله عليه، ثم استمرت الثورة الوطنية الفلسطينية بقيادة الشيخ الحاج أمين الحسيني مفتي القدس الذي ظل يقود الثورة حتى سنة ١٩٤١؛ وتوالت الثورات والانتفاضات. في الوقت الذي كان فيه أهلنا في فلسطين يحاربون عصابات الاحتلال الصهيوني تحت الانتداب البريطاني، وانضمت كتائب من المصريين والسوريين والأردنيين، وبعض الأفراد من الدول الأخرى، إلى المقاومين والمجاهدين في فلسطين، كانت هناك شعوب تجمع الأموال، وتُسَيِّر المظاهرات، وتتبرع فيها النساء والرجال بخواتم زواجهم وساعاتهم. لقد رأيت ذلك بعينيَّ، في بلدي، في الإسكندرية، المظاهرات كانت تجوب شوارع الإسكندرية سنة ١٩٤٧ و١٩٤٨ والشباب أمامها يحملون الصناديق والناس يلقون من النوافذ والشرفات بالذهب وبالساعات والنظارات كل ما يمكن أن يكون له قيمة. وكانت هذه المظاهرات، تجمع الأموال والتبرعات العينية وترسل إلى القاهرة فتتحول هذه الأشياء إلى أموال سائلة يشترى بها سلاح ويرسل إلى فلسطين أو يجهز به المجاهدون المصريون لينضموا إلى إخوانهم هناك.

وعلى الرغم من سيادة روح الفداء والتضحية بالمال والنفس في تلك المرحلة من مراحل النضال العربي ضد الصهاينة فإن بعض الناس المجرمين استغلوا هذه المرحلة وأتوا بأسلحة قديمة من الصحراء الغربية أسلحة من بقايا الحرب العالمية الثانية، وقد حذر الكبار، من قدماء المجاهدين في الإسكندرية يومئذ، قادة أهل فلسطين من أن يأخذوا هذا السلاح لأنه آتٍ من الصحراء الغربية لا يعرف مصدره ولا مدى كفاءته؛ كان هناك سلاح صالح أتى من المكان نفسه، وكان هناك السلاح الذي لا يعرف حاله ولا يوثق بمن جلبه، ولكن كان ما كان وقَدَرُ الله ماضٍ مهما حاول الناس. لقد بلغ انعدام الضمائر، أو موتها؛ بأولئك مبلغ التضحية بالأمةَ والوطن والإخوان والأهل. وسولت لهم أطماعهم المادية وجشعهم إلى المال أن يتاجروا في أرواح المجاهدين بسلاح مستعمل لا يستطيع أن يقتل عدوًا ولا أن يَنْكى فيه أي نكايةٍ كانت. والخيانة، في الظروف والأوقات التي تجب فيها الأمانة الصارمة، يقع فيها ضعاف النفوس. ولذلك نجدها واقعة داخل الصفوف المقاومة المقاتلة للصهاينة، التي من المفروض أن تكون متراصة في وجه العدو الصهيوني، ولذلك تقع عمليات اغتيال

شنيعة لقادة كبار كالذي وقع للشيخ أحمد ياسين ولعبد العزيز الرنتيسي ولصلاح شحادة ونزار ريان وسعيد صيام (الشهيدين في العدوان الحالي) وغيرهم وغيرهم، وإسرائيل تقول في كل جريمة منها إنها فعلتها بناءً على معلومات استخباراتية، يعني من جواسيس يخونون أهليهم وأوطانهم ونحن نريد أن ندرأ هذا الداء عن إخواننا الفلسطينيين وإخواننا العرب، والكشف عمن يقعون فيه وفضحهم من أهم وسائل هذا الدرء الواجب.

منذ سنة ١٩٤٨ إلى الآن، بل منذ بدء الهجرة الصهيونية إلى فلسطين في ظل الانتداب البريطاني عليها، وروح الممانعة قائمة لم تمت في الأمة، ولم تختف من صدور رجالها ونسائها. تختلف قوة وضعفا، تختلف ارتفاعًا وانخفاضًا، لكنها لم تَمُتْ أبدًا. في جميع العصور وفي جميع الأوقات كنت ترى في العالم العربي ممانعين، كنت ترى في الوطن العربي وفي الأمة الإسلامية قومًا يقولون: لا، نحن لن نقبل بالخضوع لإسرائيل، نحن لن نقبل بالمذلة للصهيونية، نحن لا نقبل بالاستعمار الغربي. نحن، الشعوب الإسلامية، حاربنا الاستعمار الإنجليزي والاستعمار الفرنسي والاستعمار الصهيوني والاستعمار البلجيكي والاستعمار الهولندي في كل بلاد العالم؛ المسلمون هم الذين استعمرت بلادهم، لا أحد آخر استعمرت بلاده، لا توجد بلاد غير إسلامية استعمرت، كل مرحلة الاستعمار، نحو قرنين من الزمان، استعمرت فيها بلاد المسلمين فقط. وقاوم المسلمون فقط، لم يقاوم أي شعب آخر، لأن الشعوب الأخرى لم تكن تحتاج إلى مقاومة، الشعب العربي المسلم بل الشعب المسلم في كل مكان، عربيا كان أم غير عربي، هو الذي كان اضطر إلى المقاومة مواجهةً للمستعمر وردًا لعدوانه.

❁ ❁ ❁

عندما بدأت مظاهر الانهيار فيما كان يسمى جيش تحرير فلسطين الذي كان يقوده السيد/ أحمد الشقيري، وكان هذا الجيش يسير تحت القيادة المصرية برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر ويعمل من مصر وله بها مقر - عندما حدثت بوادر الانهيار في هذا الجيش، وأصبحت قواته غير قادرة حتى على الوقوف وليس على المقاومة الفعلية، ظهر جيل جديد من الشباب كان الزعيم الذي استطاع أن يتبوأ المكانة العليا فيه هو ياسر عرفات؛ وسموا أنفسهم حركة تحرير فلسطين (فتح) ثم ضموا إليهم معظم المنظمات الفلسطينية وأنشأوا الكيان المعروف باسم: (منظمة التحرير الفلسطينية). ثم قاتلوا وجاهدوا وأبلوا بلاءً حسنًا

وواجهوا الصهاينة في لبنان، وواجهوا الصهاينة في فلسطين نفسها، وفي الأردن وفي تونس عندما هاجموهم، لكن في النهاية وصلنا إلى أوسلو، إلى اتفاقيات أوسلو، التي انعقدت سنة ١٩٩٣ بعد مفاوضات استمرت نحو سنتين كان مهندسها الرئيسي هو السيد/ محمود رضا عباس. الرئيس المنتهية ولايته للسلطة الفلسطينية. أبرمتها هذه القوة التي كانت مجاهدة، أبرمتها هذه المجموعة التي بدأت مضحية بدمائها في سبيل فلسطين، وانتهت بأنها تقبل بالدخول تحت ظل أو مسمى السلطة الفلسطينية لتبقى في أرض فلسطين، ثم يخلق الله ما لا تعلمون، أو ثم ليكن بعد ذلك ما يكون. فلا يحق لأحد أن يبحث في النيات، بل نقبل قولهم إنهم لم يريدوا بذلك إلا العودة ولو إلى شبر من أرض فلسطين يستأنفون منه كفاحهم في سبيلها. لذلك عادوا إلى غزة والضفة تحت ترتيبات سميت: (غزة وأريحا أولا). وبدأ بذلك النظام (؟) المسمى بالسلطة الفلسطينية. قبل اتفاقيات أوسلو كان ياسر عرفات قد أعلن دولة في المنفى، واعترفت بها دول عدّة، وبعد أوسلو قبل هو ورفاقه أن يخفضوا رتبة وجودهم العربي والدولي من دولة إلى سلطة. ولله في خلقه شؤون(!)

عندما ظهرت بوادر لا تكاد تدرك للعمل على تهيئة أجواء لعقد معاهدة بين الصهاينة وبين منظمة تحرير فلسطين بقيادة ياسر عرفات تبين للجيل الجديد من شباب فلسطين ولشيخ واحد كبير السن، رحمه الله، الشيخ أحمد ياسين، منذ أواسط الثمانينات أن نهج التسوية السلمية، الذي سلكته مصر وحاولت إقناع عرفات ومن حوله به، لا يؤدي إلى خير، وأن هذا النهج سوف يؤدي بالقضية الفلسطينية إلى أن تعود أدراجها: ملفًا من ملفات جامعة الدول العربية. وملفًا من ملفات هيئة الأمم المتحدة. وملفًا من ملفات اجتماعات الملوك والزعماء والرؤساء... إلخ، ثم لا تتحرك إلى الأمام. فدعا الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، إلى أن الطريق الوحيد للخلاص من الاستعمار الصهيوني هو الجهاد وذكّر الناس، في مسجده، بفريضة الجهاد وغايتها.[٢١]

---

(٢١) كان ـ رحمه الله ـ قعيدًا بسبب شلل رباعي، وكان لا يرى إلا بصعوبة شديد ولا يسمع إلا إذا حُدِّث في أذنه بأعلى صوت ممكن، كل هذه المسائل كان يعاني منها معاناة هائلة، لكنه كان صابرا محتسبا راضيا بقضاء الله. كان قادرا على الكلام، وكنت دائما عندما أسمعه أتذكر الرجل الصوفي الطيب الذي ابتلي في جسده كله فمر عليه عالم فرآه يقول في مجلسه: «الحمد لله الحمد لله الحمد لله» فقال له علام تحمد الله وأنت على هذه الحال؟ قال له: «أحمده على أن أبقى لي لسانا أذكره به». فكان الشيخ أحمد ياسين نموذجًا لهذا. أبقى الله له لسانا وعقلا فشكر الله وذكره، وأدّى واجبه العيني في بعث الشعب الفلسطيني وتجديد جهاده، بهذا اللسان وذلك العقل، حتى لقي الله سبحانه وتعالى شهيدًا راضيا مرضيا.

دعا الشيخ أحمد ياسين الناس، فالتف حوله الشباب، الذين كانوا في هذا الوقت ١٤ سنة و١٥ سنة و١٦ سنة، وأنشأوا في غزة حركة المقاومة الإسلامية (حماس). والذين عاصروا قيام هذه الحركة الوطنية الإسلامية لا ينسون أبدًا أن فريقا من الكُتاب والمفكرين والمثقفين العرب والمسلمين، عندما نودي أنه لابد من الجهاد، وأنه لا يُخرج هذا العدو من فلسطين إلا الجهاد، والتف الناس حول الشيخ أحمد ياسين، كتب مثقفون عرب كبار وقالوا ما هذا الجنون؟ تريدون أن تنشئوا حركة مقاومة إسلامية في فلسطين لكي يأتي إخواننا المسيحيون وينشئوا حركة مقاومة مسيحية في فلسطين، ثم يجيء بقايا اليهود العرب الموجودون هناك ويقولوا نحن أيضا حركة مقاومة ضدكم، فتضربوا بعض الشعب الفلسطيني ببعض(!) لابد أن تضربوا حماس هذه وتقضوا عليها الآن. وكان التحريض على ذلك هائلا في الصحف ووسائل الإعلام.

أذكر أن حركة ظهرت في ذلك الوقت تحت مظلة أنها مقاومة مسيحية فلسطينية وكان يشار إليها باسم حركي أو مختصر من اسمها هو: (حمام) اختصارا لاسم: (حركة المقاومة المسيحية). وقيل وقتها إن هذه الحركة ستقضي على حماس، أو ستحدث فتنة في الصف الفلسطيني، وقيل ردا على هذا التوهم إن هذه الحركة ستكون درعا لحركة حماس، هذه الحركة ستقول، بلسان الفعل لا بالكلام، إن الشعب الفلسطيني كله سيقاوم وليس الشعب الفلسطيني المسلم وحده. هذه الحركة ستُنْبِتُ، واستُعْمِل هذا التعبير، ستُنْبِتُ آباءَ وقساوسةً يقودون تيار الجهاد في وسط الإخوان المسيحيين. وهذا ما حدث فعلا، إذ رأينا الكنيسة الأرثوذكسية تقوم وتُكَرِّرُ ما قام به المطران المنفي خارج فلسطين إيلاريون كابوتشي[٢٢]، من تأييد للمقاومة ويتجدد العهد بالكنيسة الأرثوذكسية فتخرج لنا الآن الأب الدكتور عطا الله حنا، أصبح مطرانًا هذه السنة، المطران الدكتور عطا الله حنا يسير على نفس الدرب ويقوم بنفس العمل، بل إن الكنيسة الكاثوليكية في غزة وعدد المنتمين إليها قليل، لا أعلم عددهم تحديدًا، ولهم قَسٌّ ولهم رئيس طائفة، هذا الرئيس أرسل إلى إسماعيل هنية رئيس الحكومة، التي يسمونها الحكومة المقالة، أرسل إليه رسالة في ثاني أيام

---

(٢٢) اتخذ المطران كابوتشي موقفا مؤيدا لحركة تحرير فلسطين (فتح) ونادى بحق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم، وبشّر بذلك في عظاته وكتاباته، فنفته السلطة الصهيونية إلى خارج فلسطين، وتنقل في بلاد عدة إلى أن استقر ضيفا على الفاتيكان وإن كانت إقامته غالبا في لبنان وسوريا.

العدوان يقول له نحن معكم وأرواحنا كأرواحكم دماؤنا كدمائكم أموالنا ملك لكم ما تريده المقاومة ونحن نستطيع أن نقدمه سنقدمه، وقد أعلن هذا إسماعيل هنية بنفسه في أول خطاباته بعد بدء العدوان، هذا ليس سرا، فالذين خَشَوا من فتنة وطنية في فلسطين باءوا بالإخفاق، باءوا بالخسران، لم تحدث فتنة وطنية، بالعكس حدث تماسك وطني. لم تحدث فتنة دينية في فلسطين وقت نشأة حماس، ولا حدثت تلك الفتنة طول التسعينيات التي كان يقال لنا في أثنائها إياكم أن يهاجر المسيحيون من فلسطين، وكنا ولا نزال نقف علانيةً موقفا معارضًا جدا من هجرة المسيحيين العرب من بلادنا. لكن الفتنة التي خوّفونا بها لم تحدث ولن تحدث أبدا بإذن الله.

نحن نريد أن يبقى المسيحيون العرب في أوطانهم، وأن يأخذوا حقوقهم كاملة، وأن يقاوموا معنا كل عدوان على هذه الأوطان لأنها ملكنا كلنا. لقد تبين لنا بعد بحث قليل أن هذه الهجرة التي تجري في فلسطين هجرة منظمة مدفوعة الثمن، يُعطى لمن يريد الهجرة مبالغ مالية مُغرية، ويعطى له جواز سفر من بلد من البلاد الكبرى أمريكا كندا فرنسا استراليا.... ويضمن له عمل بدخل معقول إذا ذهب إلى هناك. وتأتي المقارنة: هو يعيش هنا في شظف من العيش، ويعاني من الخوف المستمر من العدوان الصهيوني المتكرر، وهو يكبر ولا يستطيع أن يتزوج إذا كان شابًا أو يحمي أسرته إذا كان رب أسرة؛ فكان أن قبل عدد منهم، قد يكون كبيرا نسبيا أن يهاجر. لكن المسيحيين العرب في جملتهم لم يخرجوا من فلسطين ولن يخرجوا؛ ولم يخرجوا من مصر ولن يخرجوا؛ ولم يخرجوا من العراق ـ على الرغم من أنه خرج نحو ٢٠٠ أسرة في العام الماضي ـ ولن يخرجوا: لأن هذه بلادهم كما هي بلادنا، يحافظون عليها كما نحافظ عليها.

❁ ❁ ❁

قامت حركة حماس ومضت ملاحمها البطولية العظيمة التي استشهد فيها في (٢٢/ ٣/ ٢٠٠٤)، الشيخ أحمد ياسين نفسه؛ وبعده بأيام قليلة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي في (١٧/ ٤/ ٢٠٠٤)، رحمة الله عليهما، وآخر من استشهد من الرعيل الأول قبل يومين في (١/ ١/ ٢٠٠٩) كان العالم الأستاذ الجامعي المجاهد بنفسه وماله الأخ نزار ريان رحمة الله عليه. ثم القائد الفذ الصديق سعيد صيام في (١٧/ ١/ ٢٠٠٩) فلنسأل أنفسنا: هل فتَّ هذا

في عضد حماس؟ هل قلل هذا من قوة حماس؟ هل أسقط هذا خيار المقاومة والاستمرار في المقاومة عند حماس وعند الجهاد وعند الجبهة الشعبية وعند كتائب أبو علي مصطفى وعند كتائب الأقصى وألوية الناصر صلاح الدين وغيرهم وغيرهم، ممن اختاروا طريق الجهاد طريقا لاسترداد الوطن واستعادة الحقوق المغصوبة؟ الجواب أن هذا لم يحدث، ما يحدث هو العكس، ما يحدث أنه كلما سقط شهيد قامت الأمهات بتقديم مشروع شهيد جديد إلى الذين يربون الشهداء. تقول الأم الصابرة: هذا الولد مقدمٌ بدلا من أخيه(!) هذا الولد مقدم بدل عمه، هذا الولد بدل خاله؛ وهكذا يربى جيل وراء جيل من الشهداء وهو عمل مستمر في هذه الأمة لن ينتهي أبدا.

والحرب بيننا وبين الصهاينة، وغيرهم من أعدائنا، مستمرة إلى يوم القيامة لأن الله تبارك وتعالى يقول عن هؤلاء ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧]، لم يقل ـ سبحانه ـ حتى يردوكم عن وطنيتكم، ولا عن وحدتكم، ولا عن دستوركم، ولا عن رئيس جمهوريتكم، وإنما قال: ﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾. طيبٌ(!) نحن لن نرتد عن ديننا. فما هو البديل؟ البديل أن نظل في هذا القتال ليس هناك بديل آخر لأنه ـ أعني هذا العدو الصهيوني ـ لا يقبل منك مجرد السكوت لقد قبل أهلنا أو أجدادنا في الأندلس أن يسكتوا فأبيدوا، قبلوا أن يخضعوا فقتلوا، قبلوا أن يخرجوا فوُقِف لهم على الحدود وردوا ليقتلوا في المحارق المشهورة المسماة بمحاكم التفتيش. سميت بذلك لأنها كانت تفتش عن العقائد والبواطن، ما في القلوب، ثم تقتل على الاسم والهوية والدين، لا على الرفض والإباء والاستمساك بالحقوق والدفاع عنها. وهذ المحاكم كتبت عنها كتب لا كراسات، وتواريخ موثقة وموسوعات، لا مجرد قصص وروايات تحكى.

وحاصل ذلك كله، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، أن الذي يقبل بالخضوع سيقتل، الذي يقبل بالاستسلام سيذبح، الذي يرضى بالمذلة سيداس بالأقدام. ولذلك هؤلاء المقاومون من أهل فلسطين، هؤلاء الذي تجمعوا الآن خلف القوة المقاومة في غزة أبوا أن يقتلوا بالأقدام وقبلوا أن يقتلوا بالرصاص. رأى الناس جميعا على التلفزيونات الشباب

والنساء والأطفال الذين يقولون أين سنذهب، ورأوا أعظم من ذلك رأوا الداخلين من معبر رفح، الذين كانوا عالقين ـ كما يقولون ـ أو معلقين، ممنوعين من الدخول إلى غزة، دخل في أول يوم فتح فيه المنفذ المصري أكثر من ٤٦٠ رجل وامرأة ودخل ثاني يوم أكثر من ٢٠٠، ثم دخلت امرأة وحيدة مع طفليها؛ وكلما فتح الباب سيدخل الباقون من أهل فلسطين. وكانوا يسألون سيدة أنا سمعتها في التلفزيون لماذا تريد دخول غزة تحت القصف الصهيوني الوحشي؟ قالت لهم: «يا ابني بلدنا وفيها ولادنا» انظروا إلى التعبير الراقي البليغ «بلدنا وفيها ولادنا لمين نسيبهم؟» قال لها المذيع يا أمي لكنهم يضربون بالطائرات قالت له: «طيب إن ماتوا نموت معهم إن عاشوا نعيش معهم».

هذه امرأة لا تخاف الموت لا على نفسها ولا على أولادها، لكن تخاف المذلة، لا تقبل أن تبقى معلقة في خيمة إيواء عند منفذ رفح، تأكل من الصدقات وتأخذ من الزكوات وهي أغناها الله عن ذلك. إن هؤلاء الذين ملأ قلوبهم الإخلاصُ لوطنهم والرغبةُ في البقاء أو الموت بين أهليهم وأقرانهم يؤكدون مقولة أحمد شوقي، رحمه الله، التي أراد أن يعلِّم بها الناشئة والصغار قيمة الأوطان، فقال على لسان عصفور:

يا ريح أنت ابن السبيل	ما عرفت ما السكـن!
هبْ جنة الخلـد اليمن	لا شيء يعدل الوطن!

الشعب الذي يحب الموت توهب له الحياة، والنبي ﷺ عندما حذر هذه الأمة من أن تهزم قال ـ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ ـ : «وقد دخل في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ (أي من أين يأتينا الوهن، وهو الضعف) قال حب الدنيا وكراهة الموت». فإذا بلغ الإنسان أن يكره الموت سيهزم قطعا، لكن الإنسان الذي لا يخاف التضحية بحياته ولا يهاب الموت بل يستهين به، فهذا لابد أن ينتصر. وهذا ما يشعر به الفلسطينيون اليوم، يستهينون بالموت في مقابلة الحصار، يستهينون بالموت في مقابلة الإذلال، يستهينون بالموت في مقابلة القصف المستمر الذي لا يتوقف، ولذلك فهم إن شاء الله سينتصرون في النهاية.

أعود إلى أصل الحديث فأقول إن الانتخابات الأخيرة أتت بغالبية من حماس إلى مقاعد المجلس التشريعي الفلسطيني، والمجلس التشريعي هو البرلمان الذي يختار الحكومة

ويمنحها الثقة. والحكومة هي السلطة التنفيذية. والسلطة التنفيذية في أي بلد تعني الحكومة. والحكومة في أي نظام ديمقراطي تعني الحكومة المنتخبة، فإذا قلنا الحكومة المصرية يعني حكومة الحزب الوطني الذي انتخبته الناس بنسبة ٩٨٪ في الانتخابات وجاءت حكومة منتخبة، عندما يشاء الحزب الوطني أن يغير الحكومة سيغيرها، لأنه هو الفائز في الانتخابات التشريعية؛ عندما تأتي انتخابات أخرى بحزب آخر بدل الحزب الوطني سيأتي بحكومة تمثله، وإذا جاءت الانتخابات الثالثة بحزب ثالث سيختار حكومة تمثله، لأن الحزب الذي ينجح في الانتخابات يأتي بحكومته. لا يوجد شيء اسمه السلطة المصرية بغير حكومة. كذلك لا يوجد شيء اسمه السلطة الفلسطينية بغير حكومة، فالسلطة الفلسطينية هي الحكومة الفلسطينية، السلطة الفلسطينية ليست الرئيس محمود رضا عباس، الرئيس محمود رضا عباس منتخب من الشعب ومنتخب معه مجلس تشريعي أتى بالحكومة، الانتخابات لم يطعن في نزاهتها أحد؛ كان أحد المراقبين لها الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر من الحزب الديمقراطي، الذي أتى منه الرئيس المنتخب باراك أوباما!

ذهب الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر وراقب الانتخابات ولم يسجل أحد اعتراضًا ولا ادعاءً بالتزوير، ولا أيَّ شيء من هذا القبيل.

حدث ما حدث بعد الانتخابات، وجاءت الحكومة التي تمثل القوة السياسية المنتخبة. بعد أقل من سنة من مجيء الحكومة، التي هي السلطة التنفيذية الفلسطينية، الحكومة التي تدير البلد، الحكومة التي تتعامل مع العدو الصهيوني في المشاكل اليومية للشعب الفلسطيني ـ جاءت هذه الحكومة فلم يستطع السيد/ محمود رضا عباس ومن معه أن يحتملوها. فأقالها. وعين حكومة تصريف الأعمال برئاسة السيد/ سلام فياض التي تدير الضفة الغربية الآن. ووجد الوزراء وأعضاء مجلس النواب، المجلس التشريعي، الموجودون في غزة، أن هناك عملا دائبا وحثيثا وواضحا لاجتثاثهم بليل، فبالتعبير العامي المصري: (اتغدوا بالمتآمرين عليهم قبل أن يتعشّى هؤلاء بهم).

وهذا تعبير مستعمل في السياسة المصرية، ومطبق أيضًا، منذ زمن طويل. أحد رؤساء مصر الكبار عندما قال له بعض خصومه كيف تفعل ذلك معنا؟ قال: «اتغدى بكم قبل أن تتعشوا بي!!». هؤلاء ـ خصوم الرئيس المصري آنئذ ـ من استطاع منهم أن يهرب

هرب ومن لم يستطع تُغدِّيَ به فعلا وتُغُدِّيَ به غداء طويلا استمرت موائده منصوبة نحو عقدين من الزمان. وهذا الأمر مستمر في كل سياسة، محمد علي فعل مثل هذا مع المماليك، والملوك والقياصرة والأكاسرة فعلوا هذا مع أقاربهم، والخلفاء والملوك والأمراء المسلمون قتلوا إخوانهم حتى لا يتولوا الحكم بدلا منهم، وانقلبوا على آبائهم أو أعمامهم فعزلوهم وسجنوهم أو نفوهم وحكموا بادعاءات شتى (الإصلاح / الحرية / التقدم / نصرة الدين....إلخ) حدث ذلك في الدولة العباسية وفي غيرها من الدول، حدث كثيرًا جدًا.

إخواننا في حماس، في غزة، استولوا على مقاليد الأمور في ١٤ يونيو/ حزيران ٢٠٠٧. وحدثت مواجهة لمدة أيام قليلة انتهت بخروج بضعة آلاف من المسلحين (قيل إن عددهم زاد على عشرين ألف مسلح مدرب!) المنتمين إلى حركة فتح من غزة إلى مصر، وإلى الأردن أو إلى الضفة الغربية ثم الأردن. هذا كله تاريخ مضى وانقضى، ولا يهمنا هنا تحديد من المخطئ ومن الذي لم يخطئ، الذي يهمنا أنه بقيت لدينا في غزة حكومة يقال عنها «المُقالة»، وبقي لدينا في غزة أعضاء مجلس تشريعي يجتمعون وحدهم وأعضاء في رام الله يجتمعون وحدهم، ثم قبضت إسرائيل على رئيس البرلمان الفلسطيني محمود الدويك وقبضت على نائبه وقبضت على ٤٢ من أعضاء البرلمان. وهم يُقَدَّمون الآن واحدا واحدا، أو مجموعة مجموعة، إلى المحاكمة العسكرية في إسرائيل بتهمة الانضمام إلى جماعة إرهابية، هذه الجماعة هي حركة حماس صاحبة الأغلبية البرلمانية في فلسطين.

أي منطق لأية ديمقراطية هذا؟!

أليس هذا نفسه هو ما حدث في الجزائر؟ عندما فازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالأغلبية في انتخابات برلمانية حرة، فدبّرت القوى المناوئة للإسلاميين لانقلاب الجيش على الانتخابات الديمقراطية الحرة بذريعةِ مقولةٍ مزعومة، لا يعرف أحد قائلها، ولا يقطع أحد بأنها قيلت أصلا(!)

في فلسطين لا يوجد جيش يقوم بانقلاب عسكري ضد حماس. ولا يوجد أحد من حماس ولا ممن حولها يمكن أن يقول كلامًا مجنونًا مثل ذلك الكلام الذي نسب إلى المجهول الجزائري.

نعقِّد الحياة، نوقف التحويلات الخاصة بالضرائب التي تجمعها إسرائيل وترسلها لغزة، نقلل كمية البترول الذي يدخل من إسرائيل إلى غزة، نقفل المعابر بين غزة وإسرائيل فلا يستطيع العمال أن يجدوا قوت يومهم، ونقفل المعبر الوحيد للأشخاص بين مصر وغزة فيصبح أهلها كلهم في سجن لا فكاك منه. هذا في ظل الحكومة الشرعية وهي لازالت في رام الله ولازالت تدير من رام الله، ولم يحدث الانشقاق بين رام الله وغزة؛ نقلل من كمية البترول الذي يدخل، عندما تأتي أدوية داخلة نسمح بأدوية الصداع وألم الرجل وألم الرأس ولكن لا نسمح بالأدوية اللازمة للعلميات الجراحية وللسرطان وللأمراض المزمنة وما إليه، نقدم المياه يوم وثلاثة لا، نقدم الغذاء.. كم يأخذون في غزة؟ ٣٠ ألف شوال دقيق في السنة نعطيهم ٢٠ ألف فقط ونعطيها لهم خمسة خمسة فتظل دائما هناك أزمات ليس في غزة فقط، وقتها كان ذلك يجري على غزة وعلى الضفة معًا. وقتها كانت كل فلسطين الباقية في يد أبنائها محاصرة، إلى أن حدث ما حدث من الأخ محمود عباس وأقال الحكومة، ففتحت أبواب الرحمة المؤقتة المسمومة لإخواننا في الضفة الغربية، وأغلقت أبواب أية رحمة أو أية علاقة إنسانية أو أية معاملة طبيعية مع غزة. وبقيت غزة تحت الحصار سنة ونصف حتى الآن ثابتة صامدة مرابطة. الناس يأكلون رغيفًا بدل ثلاثة، يأكلون وجبة في اليوم بدل ثلاث وجبات، يأكلون وجبة واحدة في اليوم واليوم الثاني لا يأكلون على الإطلاق، وهم مع ذلك يقدمون أبناءهم فداء لقضية الوطن كلما اقتضى الأمر. أضف إلى هذا الحصار الغارات التي كانت تقع كل يوم، كل يوم غارات كل يوم في أثناء تهدئة مدتها ستة شهور، كانت هناك تهدئة بين إسرائيل وأهل غزة الذين دخلوا في التهدئة بشروط أربعة، لم تنفذ إسرائيل ولا شرطًا واحدًا من الشروط الواجبة عليها، ونفذت كتائب المقاومة الفلسطينية كل الواجبات التي عليها، وأهمها وقف إطلاق الصواريخ. حدثت واقعة واحدة: اثنان من إحدى الفصائل أطلقوا صاروخين على مستعمرة سديروت القريبة من غزة، في اليوم نفسه أصدر رئيس هذه المنظمة بيانا يدين فيه هذا العمل، ويقول هذا العمل لم يصدر بإذننا، ولم يقع باتفاقنا وهذا خرق لا نقبله للتهدئة، وبعد أسابيع قليلة كان هذان الرجلان قد أخرجا من غزة أصلا، قيادتهم أخرجتهم من غزة وأبقتهم في مدينة أخرى في دولة عربية أصبحا يعيشان فيها، بعيدا عن غزة، تجنبا لتكرار هذا الخطأ.

إلى هذا المدى بلغ التزام المقاومة، بكل فصائلها، في غزة بالتهدئة. وإلى المدى المقابل الذي نعرفه، وذكرناه، بلغ عدم التزام إسرائيل. وانتهت المدة المحددة للتهدئة، وأعلنت الكتائب الفلسطينية والفصائل الفلسطينية أنه لا استمرار في التهدئة إلا إذا نَفَّذتْ إسرائيل شروطها المتفق عليها. أظن أن هذا أدنى ما يقبله إنسان عنده ذرة من كرامة بل وذرة من وطنية أيضًا.

بدأت الفصائل الفلسطينية تقول لا نقبل أن تستمر التهدئة أو تجدد، إلا إذا نفذت إسرائيل التزاماتها، ثم خفضوا مطلبهم فقالوا أهم التزاماتها، ثم خفضوه فقالوا فقط تُوقِفْ الحصار المفروض علينا؛ فلم يقبل منهم أحدٌ عربيًا أو إسرائيليًا هذا الكلام(!)

قيل لهم لابد أن توقِّعوا على تهدئة جديدة تمضي لمدة سنة وليس لمدة ستة أشهر. ثم قيل لهم بل تهدئة لعشر سنوات متتاليات(!) وجميع الحلول والمقترحات المعقولة التي تحفظ للفلسطينيين حياتهم وشيئًا من حقوقهم، وقليلا من كرامتهم، وهي الحلول التي ذكر بعضها خالد مشعل أمس (٢/ ١/ ٢٠٠٩) في كلامه على قناة الجزيرة، رُفِضَتْ ولم تُقْبَلْ، بل ازداد الحصار ضراوة وشراسة، فقد كان يفتح أحيانا من داخل إسرائيل أو من خارجها، ثم توقف فتح المعابر نهائيا، ظنا منهم أن هذا سيؤدي إلى الهزيمة المعنوية التي تسبق أي هزيمة مادية.

إنك إذا لم تهزم معنويا يستحيل أن تهزم ماديا. الهزيمة المعنوية تعويضها من أصعب الأمور، لكن الهزيمة المادية تعويضها يسير. والفرد الواحد المنتصر معنويا لا تهزمه جيوش الدنيا، ولا ترده عن عقيدته سجون الأرض كلها. والأمة المهزومة ماديا تسترد عافيتها، طال الوقت أم قصر، مادامت الهزيمة المعنوية لم تحدث. ونحن تراثنا هو تراث رفض الهزيمة المعنوية. نتذكر العز بن عبد السلام عندما قال لمن طلب منه أن يُقَبِّلَ يد الأمير الخائن المتعاون مع أعداء الأمة: «يا مسكين! والله ما أرضى أن يقبل أميركم يدي، فكيف أقبل يده؟!». ونتذكر ابن تيمية الذي قال عندما أرادوا سجنه، وكان بعض خصومه يحرِّضون على قتله: «أنا قتلي شهادة، وسجني خلوة، ونفيي سياحة!». تراثنا هوهذا التراث، تراثنا تراث رفض الهزيمة المعنوية أفرادا كنا أم جماعات، وهذا ما فعله إخواننا في غزة، وأهلنا في الأرض المحتلة كلها.

❋ ❋ ❋

بدأ العدوان الصهيوني يوم السبت ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٨ واليوم، السبت ٣/ ١/ ٢٠٠٩، هو اليوم الثامن للعدوان، نذكر كلنا أنه كانت هناك حرب اسمها حرب الساعات الست عند الصهاينة وحرب الأيام الستة عندنا هي حرب سنة ١٩٦٧. تلك الحرب التي دُمِّرَ فيها الطيران المصري والسوري و..و..إلخ كان اسمها حرب الساعات الست، نحن خرجنا وقتها من وظائفنا نمشي في الشوارع نسمع الأخبار التي كانت تبثها الإذاعة المصرية، وكنا نظن أننا سنذهب غدا إلى القدس نصلي هناك(!) وبعد الساعة ١٢ ظهرا تبين لنا أننا واهمون، وأن ادعاء النصر لم يكن له أساس من الصحة. وبقيت أرضنا محتلة، وقناة السويس مغلقة في وجه الملاحة البحرية من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٣م عندما حررناها في حرب رمضان ١٣٩٣هـ = أكتوبر ١٩٧٣.

ولا تزال الأراضي السورية المغتصبة سنة ١٩٦٧ محتلة حتى الآن (٤٢ سنة)، والأرض الأردنية التي احتلت سنة ١٩٦٧ أُجِّرَ الجزء الأكبر منها لإسرائيل بعقد طويل الأمد وبمقابل رمزي بمقتضى اتفاقية وادي عربة بين الأردن والكيان الصهيوني! وكان يقال على طول الزمان، ولا يزال يقال في بعض البلدان، إن سبب تلك الهزيمة أن العرب فاجأتهم الضربة الجوية الأولى فلم يستطيعوا مواجهة العدو بعدها(!)

هذه المرة عندما بدأت حرب العدوان على غزة بالضربة الأولى يوم السبت صباحا ظنَّ الإسرائيليون وحلفاؤهم الأوربيون والأمريكيون، ومؤيدوهم من أهل المنطقة، أنهم حققوا أهدافهم، والذي يتابع الأخبار على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) سيرى ردود الأفعال الصحفية والتلفزيونية في أوروبا وأمريكا وفي بعض وسائل الإعلام العربية كانت تبث بروح معنوية عالية جدا أن إسرائيل بدأت تخليصنا من الإرهابيين، إسرائيل بدأت تقضي على حماس، إسرائيل ستنهي المعركة في يومين...

في اليوم الثالث قالوا: قائمة الأهداف لم تنته بعد، في اليوم الرابع قالوا: تجديد قائمة الأهداف، هل تعرفون ماذا يقولون اليوم ٣/ ١/ ٢٠٠٩؟ اليوم لم يعد هناك أهداف. مثلما قال السيد حسن نصر الله: قائمة الأهداف انتهت. اليوم ضابط إسرائيلي كبير، من الجيش، صرح: بأن حسن نصر الله مخطئ، قائمة الأهداف متجددة، نحن سنحدد لكل مرحلة من مراحل الحرب أهدافًا جديدة. الأهداف الجديدة الآن هي الصحراء! شوهدت أمس

واليوم - وصُوِّرَتْ وعرضت القنوات التلفزيونية صورها - الطائرات الإسرائيلية وهي تقصف وترمي حمولتها في الصحراء، في أماكن خالية ليس فيها زرع وليس فيها ناس، فلماذا يفعل سلاح الطيران الصهيوني ذلك؟ يفعله لبث الرعب، لبث الهيبة والخوف، في النفوس. وإخواننا المقاومون، وأهل غزة الذين يقتل منهم عشرات كل يوم، ثابتون كما هم.

فات اليوم الأول، وفي اليوم الثاني بدأت المقاومة في إطلاق الصواريخ، وفي اليوم الثالث زاد معدّل إطلاق الصواريخ، وفي اليوم الرابع صرح أحد أعضاء رئاسة الأركان الإسرائيلية بأنه يبدو أن استمرار الحرب لأربعة أيام كان أطول مما ينبغي لأن الصواريخ خرجت من تحت الركام، وهذا صحيح. الركام الذي أحالوا إليه البيوت والمساجد والمستشفيات، إلى اليوم هناك ١١ مسجدًا دُمِّرَت(٢٣)، المساجد تدمر دون أن يهتز لأحد جفن أو تطرف عين؛ عندما فعلت طالبان ما فعلته بتماثيل بوذا(٢٤)، وكنا ضدهم وتكلمنا ضدهم، وبينا أنهم مخطئون إسلاميا، عندما حدث هذا قامت الدنيا ولم تقعد، الآن تُهَدَمُ المساجد على المصلين، وتهدم وهي خالية من المصلين، ولا يتحرك أحد. لكن أهلنا في فلسطين عندهم مسجد (بوادي نعم) في النقب هدّمته إسرائيل بعدوانها؛ اليوم رأيت خبرًا على الشبكة الدولية رائعًا، ذهب أهل هذا المسجد أمس ليصلوا الجمعة على الأرض الفضاء مكان المسجد المهدّم، والإمام قال للناس نحن لا يجوز أن نترك مسجدنا مهدما، فسألوه ماذا تريد؟ قال لهم اجمعوا التبرعات فجمعوا التبرعات وبدأوا البناء بعد صلاة الجمعة، وانتهى البناء ليلا، الجامع كان مكتملا ليلا وصلى أهله بداخله صلاة الفجر.

هذه الواقعة الحقيقية ما دلالتها ؟ دلالتها أن الناس لم تخف، لم تتوقف عن العمل؛ الناس لم يتوقفوا حتى عن البناء، بناء مساجدهم التي تدمرها الصهيونية. وعملوا وهم مُعرَّضون للقصف العشوائي أو المتعمد في كل لحظة، لكن مساجدنا أعز علينا من أن نتركها خرابا كما يريد الصهاينة. بناء المسجد يعيد بناء الممانعة والصمود ويعلِّم المقاومة ويدفع إليها، وبهذا وحده نهزم العدو الصهيوني إن شاء الله.

---

(٢٣) بلغ عدد المساجد التي دمرت بعد ٢٣ يوما من العدوان ثلاثين مسجدًا دمرت كليا، وخمسة عشر مسجدًا دمرت جزئيا، وبعضها مساجد تاريخية مثل مسجد الإمام أبي حنيفة النعمان الذي تهدم تماما وأصبح أثرًا بعد عين. وقد دمرت أيضا تماما عشر مؤسسا خيرية.

(٢٤) أزالت حكومة طالبان معالم تمثالين لبوذا كانا منحوتين في بعض جبال أفغانستان، فتحرك العالم كله، دوله ومنظماته، وعلماء الإسلام، ورجال الدين المسيحي، ضد ما صنعته طالبان!

جاء اليوم الرابع والخامس والصواريخ بدأت تصل إلى أماكن أبعد، صلت إلى مدى ٤٠كم ثم ٥٠كم من غزة. والخوف الإسرائيلي بدأ يشتد؛ رئيس جمهورية إسرائيل كان موجودًا في مكان بعسقلان فاضطر إلى اللجوء إلى المخبأ وقالوا إن الصاروخ الذي قذف في قلبه الرعب أصاب فندقا ولكن لم تحدث أي إصابات، سبحان الله، فندق خالٍ ليس به موظفين ولا عمال ولا ناس(!) طبعا هذا لا يوجد. لكن هم يُخْفون إصاباتهم وقتلاهم حتى يظن الناس أن الصواريخ تذهب في الهواء ولا تصيب أحدًا. نفرض أن الصواريخ فعلا تذهب في الهواء ألا تبث الرعب في قلوب الصهاينة؟ ألم يقل الله تعالى ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الحشر:٢]؟ هل قذف الرعب هذا شيء قليل؟ قذف الرعب هو أول الهزيمة هو الهزيمة المعنوية. ألم نرَ أمس نحو ٤٥٠ أجنبيا كانوا موجودين في غزة فتحت لهم إسرائيل البوابات وقالت لهم تفضلوا لتسافروا إلى بلادكم لأننا غير مستعدين لتحمل مسؤولية قتلكم، لماذا؟ لأن إسرائيل لا تدري ما الذي سيقع في الحرب البرية إذا بدأت. كل التقارير وكل الكلام مؤلم فيما يتعلق بالحرب الجوية التي تقع في غزة، كل الصور التي نراها تثير الحزن وتبعث على الأسى، ومع ذلك فنحن ننصح السيدات والرجال والأطفال أن يروا هذا الصور وألا يغلقوا التلفزيون، وألا يديروا وجوههم، وألا يعتبروا أنفسهم ضحايا إذا رأوا هذا، هذا العدوان الغاشم من واجبكم أن تروه وأن يراه أولادكم، ومن ليس عنده أولاد عندما يرزق بأولاد يحكي لهم ما فعلت الصهيونية بأهلنا في غزة، ومن قَبْلِها في قانا مرتين، ومن قَبْلِهما في بحر البقر في مصر، ومن ليس عنده أحفاد عندما يرزق بهم عليه أن يحكي ذلك لهم، ومن يستطيع تسجيل هذه المشاهد ثم يعرضها بعد ذلك فليفعل، لأن هذا هو الذي سيُبقي القدرة على المقاومة في النفوس. أما الخَوَرُ والضعفُ والرِّقَّةُ، وقول الأم أو الأب أو الجدين: هذا صغير ما الذي يجعله يرى هذا؟ و(يااااه) منظر الدم(!) منظر الدماء هذا هو الذي سيحرر لك بلدك، الذين يرون أنهم بلغوا من الرفاهة والرقة حدًا لا يستطيعون معه رؤية منظر قتل إخوانهم سيقتلون هم، أما الذين يصمدون ويثبتون ويصبرون، فهم الذين سيربون المقاومين والمقاتلين الذين يهزمون الصهاينة ويستعيدون منهم أرضنا ومقدساتنا الإسلامية والمسيحية.

❋ ❋ ❋

الأخ - أعني الأخ في الإنسانية - أولمرت رئيس الحكومة الإسرائيلية صرح أول أمس بكذبة كبيرة جدًا، كذبة يريد أن يدخلها علينا لكي نفقد الثقة بعضنا ببعض، وتنهار العلاقة القائمة بين بعضنا وبعض، ماذا قال؟ قال: «**لقد حَرَّضني ولا يزال يُحَرِّضني بعض القادة العرب على الاستمرار في الحرب للقضاء على حماس**». هذا لا يمكن أن يكون صدقا، هذا لا يمكن إلا أن يكون كذبًا صريحًا من أولمرت، وهو من قوم الكذب لهم عادة. يكذبون بطبيعتهم دون تحضير ودون داعٍ وفي الأحوال كلها. وأي وسيلة تؤدي بهم إلى أن يكسبوا معنويا ويفتُّوا في عضدنا معنويًا فهم يستحلونها.

لماذا يقول أولمرت هذا الكلام الكاذب؟ يقوله لكي نكره حكامنا ويكرهنا حكامنا، عندما نقوم بمظاهرة ضد حكامنا سيكرهوننا طبعا، عندما نقول يسقط فلان ويسقط علان سيكرهوننا طبعا، عندما نمسك صورته وندوسها بالأحذية، مثلما رأينا في التلفزيون من أيام سيكرهنا حاكمنا. في نظر العدو الصهيوني لو كَرِهَنا حكامُنا هذا لا يكفي، يجب أن نكرههم نحن أيضا لكي تشتعل الحروب داخل المِنطقة العربية في كل دولة بين أبنائها وبين حكامها. ومع ذلك فلنفترض، افتراضًا بنسبة واحد في المليون، أن هذا كلام صحيح، **الذي قال له هذا الكلام مصيره إلى جهنم. إذا كان هناك عربي واحد قال لأولمرت أو لغير أولمرت من الصهاينة استمر في المعركة حتى تقضي على غزة وفلسطين وحماس وتبيد المسلمين والمسيحيين والعرب هناك. فهذا يشتري مقعدًا، بهذا الكلام، في جهنم. ففي الحديث:** الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمر: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دما حرامًا» وكما تكون إصابة الدم الحرام باليد، أي بالقتل، تكون بالكلمة التي تعين القاتل الظالم على ظلمه؛ ففي الجامع الصغير للسيوطي، وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أعان ظالما على ظلمه ليدحض بباطله حقا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسول الله».

وأغلب الظن - والله تعالى أعلم - أن الحكمة والاتزان اللذان يتميز بهما معظم الحكام العرب تحول بينهم وبين أن يبيعوا آخرتهم بإرضاء أولمرت(!) لذلك قلت إن كلامه كذب لئلا يصدقه أحد من العامة أو ينخدع به بعض الخاصة.

❁ ❁ ❁

الحديث الذي دار أول أمس في بعض الأوساط الدبلوماسية العربية ودار من أول يوم من أيام العدوان على غزة من، أنه لابد مع التهدئة من بدء المفاوضات الفلسطينية/ الفلسطينية؛ وبعض الناس قالوا: «نحن لا نسمح بدخول المساعدات عبر معبر رفح لأنه هذا الدخول يكرس لانقسام فلسطيني»، طبعا لا يستطيع أحد تصور كيف يكرس دخول الطعام لانقسامٍ فلسطيني؟ كيف يكرس دخول الدواء لانقسام فلسطيني؟ هل المجروح من (فتح) لا يعالجه أحد؟! هل المجروح من (حماس) في الضفة (فتح) لا تعالجه؟! هذا كلام لابد أنه لم يُقَلْ، لابد أن الصحافة فهمت خطأً(!) أو أن المذيعة التي كانت تمسك بالميكروفون لم تنقل الكلام جيدا، لأن هذا الكلام غير صحيح وغير معقول كذلك.

قال الوسطاء المتطوعون من أوروبا، وقيل في مجلس الأمن إنه يجب وقف إطلاق النار من جانب إسرائيل ووقف إطلاق الصواريخ من جانب المقاومة فورًا. هذه الفورية مطلوبة من المقاومة، لكنها غير مطلوبة من إسرائيل. كأن واجبات المقاومة وحدها يجب أداؤها على الفور وواجبات إسرائيل تؤدى على التراخي(!) عندما يحلو لها ذلك الأداء ويحقق مصالحها.

والوجه الآخر لهذه العملة أنه قيل للفلسطينيين إنه لابد من التفاوض بين فتح وحماس. ولم يذكر أحد علام يكون التفاوض. فرد خالد مشعل أمس وقال إن ملفات الحوار التي كانت بيننا وبين إخواننا في فتح، المسائل الخمس، أو الملفات الخمسة، التي كانت بيننا وبين إخواننا في (فتح)، هذه توقفنا عن الكلام فيها، هذه مؤجلة الآن، الشيء الوحيد الذي نتكلم فيه الآن كيف نتراص؟ كيف نصبح كالبنيان المرصوص نواجه هذا العدو الصهيوني؟ وهذا الكلام في غاية النفاسة. يدل على معرفة واجب الوقت والرغبة في القيام به.

❋ ❋ ❋

الذين يتكلمون عن الاستراتيجية وعن السياسية ويعرفون في العسكرية إلى مدى أكبر مما نعرفه نحن يقولون أمرين: يقولون لو صمدت غزة أسبوعا ستتغير المعايير، ولقد صمدت غزة أسبوعًا ويومًا، كان هناك احتمال كبير أن تُهزم المقاومة في غزة، وهذه الهزيمة ليست عيبًا، إخواننا في فلسطين ـ إذا هزموا ـ سيكونون هزموا أمام أكبر قوة في الشرق الأوسط الآن، ليس هناك بأس يهزموا وهم ليس في يدهم شيء إلا هذه الصواريخ والأسلحة الخفيفة التي سيواجهون بها العدو عندما يدخل على الأرض، فلا عيب في هزيمة كهذه.

اليوم نحن في اليوم الثامن للحرب، ولا تزال حركة المقاومة مستمرة، بل الذي يتابع منكم الأخبار سيعرف أنه في اليوم الخامس دخلت فصيلة إسرائيلية من بضعة عشر رجلا من منطقة اسمها الشجاعية في شرق غزة حاولوا اقتحام الأرض فصدهم المجاهدون في دقائق حتى إن محطات الإعلام الموجهة في العالم كله ذكرت الخبر مرتين ثم أغفلته ولم تذكره في النشرة المذاعة، ذكرته في شريط الأخبار ثم لم يأت بعد ذلك قط. سألت إعلاميًا كنت أتحدث معه عن سبب ذلك فقال لي: لقد قالوا لنا كفى حتى لا تخيفوا الناس من الغزو البري(!) لا أحد يخاف من الغزو البري، حدث اليوم، اليوم الثامن للعدوان، دخول بري من الشجاعية أيضا وتم صده كذلك في دقائق أو في أقل من ساعة كان قد انتهى. و سيحدث هذا في كل هجوم بري، هؤلاء الصهاينة لا يتقدمون ثم يفرون بلا خسائر، هؤلاء يكون فيهم قتلى وفيهم جرحى وخسائر معدات، وسيكون هناك، كما قال خالد مشعل أمس، قتلى وجرحى وأسرى ليس هناك شيء مستغرب في هذا، الحرب البرية تعني ذلك، الحرب البرية تعني التلاحم، والتلاحم يعني أن هناك قتيلاً وأسيرًا وجريحًا وغالبًا من الطرفين لكنَّ «قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار» و«الله مولانا ولا مولى لكم» هذا هو الفارق بيننا وبينهم. الفارق الذي لقنَّه رسول الله ﷺ بنفسه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ليرد به على أبي سفيان بن حرب يوم أحد.

أتوقع الآن أن تبدأ الحرب البرية غدا(٢٥)، أو بعد غد، لأنه كما يقول إخواننا في المقاومة الأهداف الإسرائيلية انتهت، والصهاينة ردوا اليوم وقالوا: لا.. نحن عندنا أهداف لكل مرحلة(!) سيأتي يوم وتنتهي فيه الأهداف الجوية، هذه غزة ليست القُطْر المصري ولا القاهرة، سيقضي القصف على المباني التي فيها كلها، سيهدم كل البيوت وكل المستشفيات وكل الجوامع وكل الكنائس سيهدم كل غزة، ماذا سيفعل بعد ذلك؟ هؤلاء المقاومون لا يسلِّمون. هم مختبئون تحت الأرض، هؤلاء يتاومون تحت كل الظروف، ماذا سيفعل العدو؟ سيهاجم بريا. يوم يأتي الهجوم البري سيتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، يوم يأتي الهجوم البري سوف يرى الجنديّ الإسرائيلي من يواجه، الجندي الإسرائيلي لم يواجه الفلسطيني على الأرض قط، رأيتموهم في الدبابات والأولاد يرمونهم

(٢٥) بدأت الحرب البرية فعلا يوم السبت ٣/ ١/ ٢٠٠٩ ـ في أثناء اللقاء في جمعية مصر للثقافة والحوار ـ في الساعة التاسعة والنصف مساءً.

بالحجارة، وعُرِضَ على التلفزيون صورة الولد يرمي الحجارة وأمامه جنديان مسلحان يجريان، كل واحد يحمل على ظهره ترسانة من الأسلحة، وهما يجريان ويرميان القنابل اليدوية إلى الخلف لأنهما لا يستطيعان أن يواجها الطفل الصغير الذي يمسك حجرًا(!) هذا هو الصهيوني. وأهلنا في غزة وأبطال المقاومة يعرفونه تماما، وتعاملوا معه كثيرا. من سنة ١٩٤٨ فلسطين محتلة ومن قبل سنة ١٩٣٥ بدأت العصابات الصهيونية تستولي على الأراضي. هؤلاء عندهم ميراث من آبائهم ومن أجدادهم لهذا التعامل مع الصهيوني، يوم تبدأ الحرب البرية سينتهي زعم السيطرة الإسرائيلية على المنطقة. وإذا لم تبدأ الحرب البرية فإن الصهاينة سيخرجون من غزة يجرون أذيال الخيبة، وسيردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرًا. لأنه من المستحيل أن تقضي الحرب الجوية على المقاومة. ولأن شراسة العدوان وبشاعته لن يزيد أهل فلسطين إلا التفافًا حول المقاومة ودعمًا لها.

اليوم أحمد جبريل رئيس الجبهة الشعبية القيادة ـ العامة، يقول: حرب غزة ستغير الخريطة العربية السياسية في المنطقة. وأنا أقول ليس الخريطة العربية السياسية فقط، ستغير الخريطة العالمية في المنطقة، حرب غزة هذه سايكس بيكو الجديدة، حرب غزة هذه هي خريطة التقسيم التي يصنعها العرب لأول مرة، فُرضت علينا خريطة سايكس بيكو ونحن مُسْتَعْمَرين، كل بلادنا ـ تقريبا ـ كانت تحت نير الاستعمار، اليوم نحن نصنع خريطة جديدة لكننا نصنعها بالدماء، والخرائط التي صنعت بالدماء، على مدى التاريخ، لم يغير معالمها أحد. الخرائط المصنوعة بالأحبار تمزقت وتغيرت معالمها، والناس خانوا العهود، والمواثيق ألغيت، والمعاهدات كلها نقضت، لكن الخريطة التي يكتبها الشعب الفلسطيني، نيابة عن الأمة العربية والإسلامية بالدم، خريطة لن تزول ولن تمحى.

لقد حاربت جيوشنا النظامية العدو الصهيوني فهُزِمت ثلاث مرات وانتقمت لنفسها مرة (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م). لكن الأمر استقر على أن إسرائيل لها اليد العليا، اليد العليا على النظم الحاكمة، اليد العليا على الإرادة السياسية، اليد العليا على القرار الحكومي. ولكن ليس لها اليد العليا على الشعوب؛ بدليل أن ملايين العرب والمسلمين، وملايين من ذوي الضمائر الحية ممن ليسوا عربا ولا مسلمين، في كل أنحاء الكرة الأرضية، يرون أن هذا العدوان إجرام مخالف للشرائع الدولية لا يجوز أن يُسْكَت عليه، لا يجوز أن يقبل به أحد. وبدليل أن إخواننا في فلسطين لا يزالون يقاتلون وسينتصرون إن شاء الله؛ فإذا وقع

العدوان على الأرض بما يسمى (الغزو البري) أو (الاجتياح البري)، إسرائيل تسميه من باب تخويفنا الاجتياح البري، سوف يرى العدو من المقاومة ما يسؤوه ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

نحن اليوم أمام عدوان من نوع جديد أمام عدوان يمهد الأرض لغزو بري بدأت تباشيره تظهر بحشد الدبابات وبحشد الجنود أيضا وباستدعاء آلاف من جنود الاحتياط، وهذا لا يحدث إلا عندما تكون إسرائيل قد وضعت خططها العسكرية لحرب طويلة المدى. ونحن لا نخاف هذه الحرب، ولا استمرارها زمنا طويلا، بل الصهاينة وحلفاؤهم هم الذين يخافونها ويحسبون ألف حساب لاستمرارها. يحسبون حساب التكاليف المالية الباهظة، ويحسبون حساب القتلى والمصابين وتوقف العمل في معظم قطاعات كيانهم بسبب الرعب الذي يسيطر على شعبهم وانتقاله من حياته العادية إلى الحياة في الملاجئ، هذا كله يخيفهم من الحرب ومن استمرارها. بدليل أن أحد كبار المسؤولين في وزارة الدفاع الإسرائيلية ظهر قبل قليل على شاشة التلفزيون الصهيوني الرسمي يناشد مواطني عسقلان وغيرها من المستوطنات الصمود والصبر لأن الحرب ستطول أكثر مما يظنون. مجرد شعور إسرائيل بأن هذه الحرب ستطول، وأن هذه الحرب مكلفة، هذا بدء الهزيمة.

إن الاجتياح البري وشيك على نحو ما يبدو من الأخبار، لكن الاجتياح البري ليس بسهولة القصف بالطيران. قصف الطيران من فوق وليس في يد حماس أي سلاح مضاد للطائرات، لكن الحرب البرية لا تستطيع إسرائيل أن تخوضها بكفاءة إلى النهاية، الحرب البرية في قطاع غزة ستكون مجزرة بالنسبة لليهود، ستكون مجزرة للإسرائيليين.

الذين استشهدوا حتى يوم ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨ من أهلنا في غزة كان عددهم ٢٩٠ - ٣٠٠، الجرحى ٨٠٠ أصبحوا ١٠٠٠ [(٢٦)] غدا حتى لو وصل عدد القتلى إلى ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ لا زال عندك مليون ونصف المليون في قطاع غزة. ليس المدربون على السلاح من حماس وحدهم الذين سيقابلونك، وليس المدربون من فتح وكتائب الأقصى والجهاد والجبهة

---

(٢٦) وصل عدد الشهداء قبل الانتهاء من أصل هذا الكتاب يوم ٢٢/ ١/ ٢٠٠٩ إلى ١٣٠٠ شهيدًا منهم ٨٩٥ مدنيا ٤١٠ طفلا و١٠٤ امرأة. وبلغ عدد الجرحى ٥٠٠٠ جريحًا منهم ١٨٥٥ طفلا و٧٩٥ امرأة. وبلغ عدد شهداء المقاومة نحو ٤٥٥ شهيدًا.

الشعبية وغيرها، بل سيقابلك كل رجل غزاوي وكل امرأة غزاوية وكل طفل بسلاح منزلي وبعصا وبحجر وبسلاح يقتل مليء بالرصاص أو مليء بالقنابل المتفجرة أو مليء بغيره، الجندي الصهيوني جندي لا يستطيع المواجهة البرية، والمواجهة البرية التي حدثت على طول الحروب هم يهربون منها، الذي يحدث أنهم يقصفون الأرض حتى يدمروها .. حتى يحرقوا الأرض بالطيران ثم يقاتلون قتالا غير متكافئ. حتى الآن هم لم يحرقوا غزة والحمد لله. ولن يستطيعوا أن يحرقوها. والذي حدث في لبنان أخيرا سنة ٢٠٠٦ دليل على ما نقوله وليس شيئا جديدًا. اليوم تصريحات من إسرائيل تقول إن ٤٦٪ من الصهاينة في استطلاع رأي يرون أن التكلفة ستكون عددًا كبيرًا من القتلى من الجنود الإسرائيليين وهذا لا يرضي الصهاينة، هم لا يريدون أن يقتل منهم أحد، هم يريدون أن يقتلوا من شاءوا لكن لا يقتل منهم أحد. لذلك الحرب البرية لن تكون هي ميدان الكسب لإسرائيل وإنما ستكون ميدان الهزيمة.

يسألنا كثير من الناس: أين دور العلماء؟ يسألون سؤال المشفق المحب المتطلع إلى قيادة حكيمة صالحة. والحقيقة أن علماء السنة في بلادنا لم يعد لهم إلا دور النصيحة والتوعية وإيقاظ الوعي، لأنهم جميعا يعيشون في ظل دول قوية مهيمنة مسيطرة تمسك بزمام القرار السياسي، وتمنع أي تحرك شعبي حقيقي ضد العدو الصهيوني. الفرق بين علماء السنة وعلماء الشيعة، في لبنان وفي إيران وغيرهما، أنهم يعيشون في ظل دول لا تمسك بزمام القرار السياسي وحدها، إنما تشاركها فيه القوى الشعبية، وتشاركها فيه قوة مسلحة قادرة على أن تتخذ بنفسها قرارا وتنفذه، نحن ليس عندنا ذلك، ولا نريد أن يكون عندنا الآن، نحن نريد من دولنا أن تتحرك، ونريد من شعوبنا أن تمارس الضغوط المشروعة على حكامها لكي يتحرك هؤلاء الحكام لمصلحة الشعوب، وهذا سيحدث إن شاء الله إن عاجلا أو آجلا، وسيحدث بطريقة قد لا يستطيع أن يتخيلها أحد لكنه سيحدث بإذن الله.

* * *

بقي أن أذكر شيئا مهما عن الموضوع الخاص بمعبر رفح. لقد قامت الدنيا، ولا تزال قائمة، على مسألة معبر رفح، والمظاهرات عمت العالم الإسلامي كله ضد سفاراتنا، وإخواننا الإعلاميون والصحفيون والمفكرون والمثقفون المصريون يتساءلون هل الحرب بين مصر وحماس؟ والجواب بالنفي. إذن لماذا يهاجم المتظاهرون السفارات المصرية؟

إخواننا الذين يقولون هذا الكلام يجب أن يتذكروا أنَّ الضعيف، والذليل، والحقير، والذي لا قيمة له، لا يهاجمه أحد. العاجز، المشلول، المُسَيْطَرُ عليه، لا يطلب منه أحدًا فعلا. إنما تطلب الناس الأفعال من القوي القادر الذي يملك زمام نفسه ويملك قراره، ويستطيع أن يواجه الدنيا بما عنده، ويستند إلى ماضٍ قديم من العراقة والقوة، ويستطيع أن يبني حاضرا ومستقبلا أعظم عراقة وأكثر قوة.

مصر أهلها في رباط هم وأزواجهم إلى يوم القيامة، مصر التي دورها هذا الرباط لا يجوز أن تتخلى عن دورها العربي والإسلامي، مصر المسلمين والمسيحيين الذين خرجوا معا لقتال الجيوش الأوروبية التي سمت نفسها كذبًا «الصليبية» مع صلاح الدين ومع من بعده من الحكام، مصر لا يمكن ولن يحدث أن تتورط في خيانة، قد تخطئ مصر، مثلما أخطأ وزير خارجيتها، قد يخطئ وزير، يخطئ رئيس وزراء، يخطئ رئيس مصر، يخطئ أي مسؤول مصري جائز، لكن أن يخون هذا لا يحدث، الخطأ يرد، الخطأ يقوَّم، الخطأ يصوّب، لكن الخيانة، ماذا نفعل فيها؟ الخيانة استعاذ منها النبي ﷺ «....أعوذ بك من الخيانة إنها بئست البطانة».

لذلك يطلب الناس من مصر أن تقوم بدورها. مصر ليست صغيرة، مصر أكبر دولة عربية، أقدم دولة في تاريخ النضال ضد الصهيونية، أول دولة وقفت ضد المخططات الصهيونية قبل أن توجد للصهاينة دولة، فعندما يقول بعض المتحدثين باسم مصر: نحن لا نستطيع أن نفتح معبر رفح[٢٧] لأننا مقيدون باتفاقية، وهذه الاتفاقية تحرم علينا أن نفتح المعبر، يجب أن نعلم أن هذا الكلام غير صحيح.

هذه الاتفاقية فيها ثلاثة أطراف هي: السلطة الفلسطينية، التي تمثلها الآن الحكومة المنتخبة انتخابا حرا هذه هي السلطة، ليست السلطة هي محمود عباس السلطة يعني الحكومة، الرئيس محمود عباس ـ المنتهية ولايته ـ كان رئيس السلطة، وكان لديه وزارة لها رئيس ووزراء تنفيذي هو الذي ينفذ قرارات السلطة ويعلن مواقفها؛ والطرفان الآخران هما الاتحاد الأوروبي وإسرائيل.

غزة من ناحية رفح ليس عندها أي حدود مع إسرائيل كل حدودها مع مصر، ومصر

---

(٢٧) اسمه منفذ رفح البري، وليس معبر رفح، لأن المعابر لها وضع في القانون الدولي والمنافذ لها وضع آخر، مثل اللاجئين والمشردين، هذان وضعان مختلفان، مثل المقاومة والإرهاب وضعان مختلفان.

لعبت دورًا على نحو ما، لا أعرف تفاصيله، في أن تخرج الاتفاقية على النحو الآتي: أن يكون على الجانب المصري جنود مصريون وإدارة أمن مصرية فقط، وهذا طبيعي وقُبل منها؛ الفلسطينيون قالوا في الجانب الفلسطيني فلسطينيون فقط؛ وبعد والضغوط قبلوا مراقبين دوليين، لا يمارسون الإجراءات وإنما يراقبون الدخول والخروج لكي لا يدخل إرهابيون(!) أو يدخل ناس معهم سلاح، أو تدخل مخدرات، أو تدخل متفجرات... إلخ؛ وإسرائيل اشترطت أن تضع كاميرات على بعد معين، لا أعرف كم كيلو متر، تصوِّر الداخل والخارج من المعبر، هذه هي الكاميرات التي تكلم عنها أمس السيد الرئيس محمد حسني مبارك، وقال هناك كاميرا ومونيتور (شاشة عرض)، يعني مراقبة.

عندنا سؤالان هنا يجب أن نجيب عليهما: هل هذه المراقبة مشروعة أم مفروضة؟ الناس فهمت، والناس أخطأت عندما فهمت، أن الرئيس حسني مبارك يقول إن الاحتلال يقوم بعملٍ مشروع بهذه المراقبة. هو قطعًا لا يقول هذا، هو يحكي الواقع يقول، إن الصهاينة يروننا. وإذا كان الصهاينة يروننا هل يستطيعون فعل شيء؟ ـ هذا هو السؤال الثاني ـ لا يستطيعون، بموجب اتفاقية المعابر، كل ما يستطيعون فعله أن يبلغوا المراقبين الدوليين: انتبهوا ظهر في الكاميرا عندنا شاحنة فيها متفجرات، في الكاميرا ظهرت شاحنة فيها مخدرات، من يوقفهم ويقبض عليهم ويحقق معهم؟ السلطة الفلسطينية، وليس الجنود الأوربيون. الجنود الأوربيون ينبهون السلطة الفلسطينية فقط على المخالفات أو الأخطار التي تقع عند المنفذ. على الجانب الآخر، من ناحية مصر لا يوجد شيء، مصر قائمة بواجبها في حراسة حدودها، وليس عليها شيء. فما قاله الرئيس أمس لم يكن القصد منه إضفاءَ مشروعيةٍ على الاحتلال، وهو لا يملك، لا هو ولا غيره، ولا مَنْ قبله ولا من سيأتي بعده، أن يضفي مشروعية على الاحتلال. الاحتلال في القانون الدولي جريمة. والمقاومة ضد الاحتلال حق مشروع لكل شعب محتلة أرضه، يمارسه بكل ما يملك من وسائل. إنما الرئيس كان يحكي الواقع، لذلك هو قال كلمة غريبة الناس تعجبت منها قال: «كفاية بقى ضحك على الرأي العام» الناس ظنت أن يكون قصده أن الاحتلال من حقه أن يفتش. لا هو يقول «كفاية بقى ضحك على الرأي العام» لأن أحدا لم يشرح لنا حكاية الكاميرا والمونيتور(!) وأن هذا يجعل إسرائيل ترى كل شيء. وهذا صحيح. فهل يعطيها هذا حق منع ما تريد منعه؟ كلا إنه لا يعطيها حق منعه. هل يعطيها حق إيقاف الشاحنات؟ كلا لا

يعطيها حق إيقافها. هل للاحتلال أي حق على أي شبر من الأرض المحتلة في أي مكان في العالم؟ كلا؛ لا في أفغانستان لهم حق، ولا في العراق لهم حق، ولا في الصومال التي فيها احتلال أثيوبي لهم حق، ولا في فلسطين من باب أولى لهم أي حق. هل عندما كان الاستعمار الإنجليزي في مصر كان له عندنا حقوق؟ عندما كان الاستعمار الفرنسي في مصر وفي الجزائر وفي تونس وفي المغرب وفي لبنان وفي سوريا هل سلم له أحد بالحقوق؟ لم نسلم له بالحقوق بل قاتلناه في كل مكان حتى حمل عصاه ورحل(!)

إذن فالاستعمار ليس له أي حق. وتَوَهُّمُ، وأكرر توهم، أن السيد الرئيس محمد حسني مبارك يقصد أن يكون للاستعمار حق، هذا توهمٌ خاطئ فالرئيس يفهم عسكرية جيدا، وكان قائدا في حرب أكتوبر، ويعرف أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون صحيحًا وهو يعرف أن في تاريخنا كان هناك استعمار إنجليزي وكنا نقاومه فلا يمكن أن يقصد ما فهمه بعض السطحيين أو الذين لم ينعموا النظر في كلامه النفيس(!)

فإذا عدنا إلى حديث اتفاقية منفذ رفح (٢٠٠٥) وجب أن نذكر أن هذه الاتفاقية لا تلزم مصر بشيء. فهي ليست طرفًا فيها أصلا، وجميع الاتفاقيات الدولية تلزم أطرافها دون سواهم. إذن مصر غير ملزمة بشيء إلا أن تحمي حدودها. وهذا واجبها الوطني، تحمي حدودها من أي إفساد، ومن أي تهريب ومن أي دخول غير قانوني، ومن أي مخدرات، ومن أي سلاح ومن أي شيء ممنوع يحاول أحد تهريبه إليها. هذا هو كل الالتزام الذي على مصر بالنسبة لمنفذ رفح وهو ليس التزامًا بموجب اتفاقية المنفذ، ولكنه التزام بموجب السيادة الوطنية للدولة المصرية. لكن علينا في مصر - من ناحية أخرى - التزام بشري وإنساني، والتزام بموجب اتفاقية جنيف الرابعة، هو كفالة مرور المساعدات الإنسانية والطبية والغذائية... إلخ. إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة. فينبغي على المستشارين في وزارة الخارجية أن يقدموا إلى السيد الرئيس هذا النص من اتفاقية جنيف الرابعة (نص المادة ٢٥) ويقولوا له نحن ملزمون بهذه الاتفاقية، نحن وقعنا عليها منذ ٨/ ١٢/ ١٩٤٩. ينبغي على المستشارين الموجودين في الخارجية المصرية أن يعرضوا على السيد الرئيس التزامنا بموجب هذه الاتفاقيات كما يعرضون عليه الموقف بالنسبة للكاميرا والمونيتور، والموقف بالنسبة لحماس التي يقول بعضهم إنها تريد منفذ رفح لنفسها (!)

ينبغي أن تُقَدَّم إلى الرئيس نصيحة قانونية عن اتفاقية جنيف الرابعة وملاحقها، وما

توجبه على الدول المجاورة للشعوب المحتلة وللشعوب المنكوبة وللشعوب التي تتعرض لآثار الحروب والمعارك العسكرية، من واجبات.

غزة، كما قال خالد مشعل أمس، أصبحت الآن منطقة منكوبة، منطقة منكوبة، بتعبير القانون الدولي، يعني منطقة يجب أن يصل إليها الغوث بغير قيد ولا شرط. فإذا كان هذا التفسير صحيحًا، وهو صحيح لا ريب في صحته، إذا كانت غزة أصبحت منطقة منكوبة فإن مصر تعرف دورها ويجب على من عرف دوره الإنساني والقانوني ألا يتخلف عن أدائه.

منفذ رفح من واجبنا فتحه أمام جميع المساعدات الموجهة لأهل غزة بأنواعها كافة. وإذا كانت الحكومة المصرية خائفة من تدفق أهل غزة للإقامة في سيناء، فهذا من ناحية مستحيل الوقوع، ومن ناحية ثانية يمكن فتح المنفذ في اتجاه الدخول إلى غزة فقط دون اتجاه الدخول إلى مصر. وهذا شيء يسير وحدث من قبل كثيرا طول مدة الحصار. لو فُتح معبر رفح منذ بدء الحصار الصهيوني، ولو فتح اليوم، ولو فتح غدا، هذه نقطة بيضاء في الصحيفة المصرية المليئة بالنقاط البيضاء.(٢٨)

إنَّ من واجبنا الديني ومن واجبنا القومي والوطني، ومن مصلحتنا السياسية أن نجير إخواننا في فلسطين، الله تبارك وتعالى يقول ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾، المشركين! استجارك يعني طلب منك أن تجيره يعني أن تحميه، ثم أضاف الله القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦] أي يجب أن عليك أن تبلغه مأمنه، فليسأل كل مصري، وكل عربي نفسه: هل قام العرب والمسلمون بإجارة إخوانهم في غزة؟ هل قاموا بإبلاغهم مأمنهم؟ هذا التقصير كله ينبغي أن يعالج فورا، بدلا من أن يقف وزير خارجية دولة عربية كبيرة ويقول: «نحن نصحنا ومن لم يسمع نصيحتنا ذنبه على جنبه»!! ويقول الكلام الذي لا يليق بوزير خارجية ولا بأي دبلوماسي. يقوله متطوعا من عند نفسه، لم يطلبه منه رؤساؤه ولم يكلفوه قوله. لكن عدم التوفيق خذلان، نعوذ بالله منه!!

بقي شيء يسألني عنه كثير من إخواننا وأخواتنا، ماذا نفعل؟

---

(٢٨) وحسب تصريحات الرئيس محمد حسني مبارك يوم ١٧/ ١/ ٢٠٠٩ فإن المنفذ أصبح مفتوحًا. لكن التقارير الإعلامية تنفي ذلك، وليس طبيعيا في مصر أن تترك تعليمات الرئيس بلا تنفيذ، فلابد أن في الأمر ما لا نعلمه.

أول شيء وهو من الأشياء بالغة الأهمية التي نستطيع أن نفعلها أن نعود لمقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية أنا أدعوكم وأدعو كل الذين سيسمعون هذا الكلام أو يقرأوه أن يقاطعوا من جديد البضائع الإسرائيلية والأمريكية. والمقاطعة تكون مقاطعة نفعية هذا بالنسبة للبضائع الأمريكية والأوروبية، ماذا نعني بالمقاطعة النفعية؟ نعني أنه لو كان هناك دواء يجب أن تشتريه ولا بديل له فلا تمتنع عن شرائه، إذا كان هناك قطعة غيار طائرة يجب أن نحضرها من عندهم ولا بديل لها عند غيرهم نحضرها من عندهم، إذا كان هناك رادار نحمي به حدودنا ويجب أن نستورده ولا نظير أو بديل له عند سواهم نستورده منهم. لكن إذا كان هناك ملابس!! فلا داعي فهناك ملابس مصرية، إذا كان هناك حذاء يريحني لا داعي له فالناس لا تجد ما تأكل بل هي توشك على الموت جوعا. دعك، بعد ذلك، من الكماليات والتحسينيات التي لا تسمن ولا تغني من جوع. فهذه مقاطعتها واجبة في كل حال.

فإذا تحدثنا عن البضاعة الإسرائيلية فإنها يَحْرُمُ التعامل فيها بأي نوع من أنواع التعامل كان. من لم يجد إلا قطرة ماء صهيونية يشربها أو يموت فليمت، وهذا ليس قتلا للنفس هذا مقاومة للعدو، من لم يجد إلا لقمة إسرائيلية يأكلها أو يموت فليمت، من يحتاج إلى عملية جراحية تجرى له في إسرائيل أو يموت فليمت، لأنه سيموت سيموت، وإذا كان الله لم يقِّدرْ له أن يموت في هذه الساعة فلن يموت، وإذا كان مقدرًا له أن يموت في هذه الساعة فسيموت ولو شرب الماء الإسرائيلي أو أكل الطعام الإسرائيلي أو أجريت له العملية الجراحية الإسرائيلية.

إن التعامل مع إسرائيل بأي نوع من أنواع التعامل، بما فيه تصدير الغاز الذي يحدث من مصر، هذا التعامل كله محرم شرعًا، ومن يفعلونه آثمون، ومن يشتري أي بضاعة إسرائيلية آثم لأنه يساهم في قتل أهلنا في فلسطين. لكن مع الأمريكان والأوروبيين ومن يساعدون إسرائيل من وراء حجاب من العرب وغيرهم، فالمقاطعة تكون مقاطعة نفعية: نشتري ما نضطر إليه اضطرارًا، حيث تجوز لنا الميتة والخنزير وشرب الخمر لإساغة اللقمة، نشتريه؛ وما عدا ذلك لا نشتريه لئلا نقوي بمالنا اقتصادهم. وقد فعلنا ذلك مرات ونجحنا، ونريد أن نرجع مرة أخرى إلى هذه المقاطعة لأنها السبيل الوحيد الذي يملكه كل فرد ولا يعذر بالتخلي عنه لأي سبب كان. وإذا لم يستطع الإنسان أن يحمل نفسه على هذا المنهج فلن نستطيع أن نكون رِدءًا لإخواننا المجاهدين في فلسطين بل سنكون عونًا عليهم ولو بطريق غير مباشر.

(٣)

اليوم الخامس عشر

(١٣ من المحرم ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩/١/١٠)

يفصل بيننا وبين رفح الفلسطينية حاجز بعضه بناء وبعضه سلك شائك ، وقد لاحظنا أن الصهاينة منذ عدة أيام يقصفون المنازل على الشريط الحدودي، وفي أول يوم من هذا القصف هدم ٢٥ منزلا، والمقصود بقصف البيوت التي على حدود مصر مع رفح الفلسطينية ـ ومن العجب ألا يذكر هذا الإعلام المصري أصلا ـ المقصود بذلك هو إخلاء الأرض لإقامة مشروع الجدار العازل المقترح من الأمريكان وبعض الدول الأوروبية بين مصر وغزة، يعني بين رفح المصرية ورفح الفلسطينية. إذا أصبحت هذه الأرض خالية ستكون المعارضة قليلة جدًا لمشروع الجدار ، لكن لو بقي أهل رفح الفلسطينية في بيوتهم، وبقيت البيوت قائمة، ومن عنده مزرعة بقيت موجودة، ومن عنده أغنام بقيت موجودة، سيكون من الصعب أن يقام ذلك الجدار لأن هؤلاء سيعارضون إقامته. في الجدار العازل الذي يقيمه العدو الصهيوني في الضفة الغربية تُواجَهُ المعارضة له برصاص الجنود الصهاينة وبالقنابل المسيلة للدموع إلخ. لكن هنا، في رفح، بدلا من مواجهة المعارضة نقضي عليها قبل أن توجد، نقتل الناس ونهدم البيوت، وهذا ما حدث حتى الآن ٢٥ بيتًا تم هدمها، وقد يزيد العدد مع الوقت واستمرار العدوان.

كان ينبغي أن يحرِّكَ هذا الهدمُ، أول ما يحرك، الحكومة المصرية. لأن هذا الهدم لا ينال من رفح في فلسطين وإنما يؤدي إلى إمكانية عدوان صهيوني مباشر على الأرض المصرية التي عادت لنا بعد ١٩٧٣، لو وُجِدَ الصهاينة في الشريط الحدودي الذي هو جزء من رفح

المصرية سابقا، أصبح لا يوجد فاصل بيننا وبين الصهاينة، نحن بيننا وبينهم الآن منطقة عازلة، من ناحيتهم عدد من الكيلو مترات ومن ناحيتنا عدد من الكيلو مترات، في منطقتنا توجد قوات دولية في منطقتهم لا يوجد أحد، وبيننا وبينهم أسلاك شائكة، وبيننا حرس حدود، حدثت من بعض رجاله محاولات انتقام، كما فعل سليمان خاطر، وكما فعل الشاب الآخر الذي قتل ٦ صهاينة، والشاب المجند الذي ضرب الأتوبيس العسكري بالنار. الجنود المصريون يرتكبون أحيانا أعمالاً من هذا النوع، والحكومة تسميها أعمالاً حمقاء، وتسميها أعمالاً فردية، وأحيانا يكتشف الطب الشرعي أن من قاموا بها مجانين(!) ولم يُكتشف ذلك وقت تجنيدهم(!) وعندما ارتُكبت هذه الأعمال ضد الصهاينة في الأردن. اكتُشِفَ أيضا جنون الجندي الذي أردى عددا من الصهاينة بعد أن قام بذلك.

الآن لو أقيم جدار عازل بيننا وبين رفح الفلسطينية، بيننا وبين أهل غزة، ستعربد القوة الصهيونية في المنطقة هناك وهنا كيف تشاء، لا يمكن أن يتصدى لها أحد؛ لا يمكن أن يتعرض جندي إسرائيلي، فضلا عن قافلة أو أتوبيس عسكري أو غيره، لإمكانية الاعتداء عليه من الأرض المصرية، لأنه سيكون هناك سور أسمنت قوي. إن المسؤولين السياسيين يتابعون الأخبار؛ ويحزنون قطعًا لما يجري، دون أن ينتبهوا إلى ما يمكن أن يكون غدا أو بعد غد أو في السنة القادمة.

وهذه الحرب ليست حرب يوم ولا اثنين ولا سنة، هذه حرب عقود من السنين ونحن مستمرون فيها وهم مستمرون فيها، ونحن مؤمنون بهذا وهم مؤمنون بهذا. الوحيدون الذين لا يؤمنون بأنها حرب عقود، هم نخبة من السياسيين المثقفين ثقافة أعلى من ثقافتنا، وعندهم إدراك للأمور أبعد من إدراكنا، ونظرتهم إلى المدى البعيد - كزرقاء اليمامة - تجعلهم يستطيعون أن يروا الغيب ونحن لا نستطيع أن نرى الغيب(!) فنحن ننظر نظرة قاصرة ونقول إن هذه حرب عقود فإما أن نفنى دفاعًا عن وطننا وقيمنا وإما أن يفنوا هم، لا توجد سبيل أخرى، إذا لم يفنوا يندمجون فينا، إذا فنوا مع السلامة، إذا فنينا فلنا الجنة. نحن معادلتنا في غاية البساطة، منطقها هو هذا الذي نقوله ونؤمن به: إما أن يفنوا هم أو يرحلوا، غير مأسوف عليهم، إلى بلادهم التي منها أتوا. وإما أن يندمجوا معنا فنصبح شعبا فلسطينيًا واحدًا، يعيش في دولة فلسطين التي تتجاور فيها الأديان والأصول العرقية لتتعاون لا لتتقاتل. لكن ذوي الثقافة العالية، والعلم بعيد المدى، من السياسيين والقادة ونظرائهم

لهم رؤية أخرى، تقول إن هذه الفكرة التي نؤمن بها خاطئة، وإن مقاومة الصهيونية أمر مستحيل، وإن هذا قدرنا الذي ينبغي أن نقبل به ونرضى، أن نعيش تحت ظل الهيمنة الصهيونية على المنطقة كلها؛ وأن الذي لا يرضى أو لا يقبل بذلك سيخرج من التاريخ. ونحن نقول مرحبًا بخروج يقع لنا ونحن موفورو الكرامة وبئس بقاء نتجرع فيه كؤوس الذل والمهانة.

* * *

إذا حاولنا التعرف على مشكلة غزة في الصراع الحالي نجد أنها عبارة عن أرض منبسطة، لا جبال ولا موانع طبيعية من أي نوع، هناك أماكن بها بيوت في الشمال وأماكن بها بيوت في الجنوب، وفي الوسط مستوطنة سابقة أخلاها شارون، عندما ترك غزة بإرادته المنفردة، كان اسمها (نتساريم). طبعا أحرقوا الأرض وهدموا البيوت، تركوها عبارة عن خرابة فعلا. وقد حاولت السلطة الفلسطينية، ثم حكومة حماس بعد أن استقلت بغزة، أو بالأصح انفردت بإدارة غزة، حاولت محاولات يائسة أن تبني فيها بيتا واحدا فوقفت القوى الدولية، ووقفت قوى عربية كثيرة، في مواجهة هذا، في عهد سلطة محمود عباس، وفي مواجهة حكومة إسماعيل هنية، وقفوا بوسائل شتى ضد محاولة إعادة تعمير هذه المنطقة. كان الغرض من إعادة تعمير هذه المستوطنة أمران، الأمر الأول: التخفيف ولو قليلا من الكثافات السكانية الهائلة الموجودة في غزة، وهي أرضهم وأملاك أجدادهم، لأنه لا يوجد شيء في غزة، ولا في فلسطين كلها، لليهود فلسطين كلها أرض مغتصبة. والأمر الثاني: ملءُ هذه الأرض بكتل سكانية بشرية حتى لا تستطيع إسرائيل أن تجتاح الأرض. فحيل بينهم وبين ذلك على مدى الثلاث السنوات الماضية. وعندما جاءت الحملة الإسرائيلية الحالية كانت المنطقة الوحيدة التي اجتيحت هي مستوطنة نتساريم سابقا، هي الأرض الخالية، دخلوا فيها ومركزوا فيها دبابتهم ومركزوا فيها آلياتهم وجنودهم وجعلوا فيها قيادة عمليات غزة لأنها لا يوجد فيها أحد. أما عن شمالها وجنوبها، فالكتلة السكانية تحول بينهم وبين ما يريدون. هذا التمركز الإسرائيلي في أرض مستوطنة نتساريم السابقة جعل أي متحرك من الجنوب إلى الشمال مستهدفًا للنيران الإسرائيلية، لكن المقاومة، طبقا للبيانات المذاعة والمعلومات المنشورة اليوم، في غاية السعادة بهذا الوضع، بهذه القسمة،

لأنه في الجنوب وفي الشمال توجد قوى مقاومة لديها أنواع من الصواريخ وأنواع من الأسلحة ومن المدفعيات الهاون واليوم استعملوا الـ آر بي جي لأول مرة، ودمروا به عدة آليات صهيونية، بالإضافة إلى أنهم استطاعوا نتيجة، ارتفاع البيوت على الجانبين، أن يقنصوا جنودًا صهاينة، فهم في أماكن أعلى من أماكن الصهاينة ويستطيعون أن يصوبوا عليهم نيران أسلحتهم فيصيبوهم مرات عديدة. لقد حاول الصهاينة أن يتقدموا بريا من ناحية لاهيا ومن ناحية بيت حانون ومن ناحية جباليا وغيرها وفي جميع المرات صدتهم المقاومة صدا بطوليا انتهى في المرة الثانية من محاولات التقدم إلى قتل قائد لواء جولاني، لواء جولاني هذا أسوأ لواء من حيث القسوة والقوة في الجيش الإسرائيلي. وهو اللواء الذي قاد الحرب على لبنان في سنة ٢٠٠٦، فهم دفعوا به إلى غزة في أول المعركة البرية، فقتل قائده الذي لم يقتل في لبنان، قتل على يد الفلسطينيين المقاومين، وجرح قائد إحدى الكتائب فيه وهو نائب قائد هذا اللواء(!) والأنباء عنه أن جراحه خطيرة، وإسرائيل لا تذيع أية أخبار عسكرية، جميع الأخبار التي نسمعها عن القتلى والمصابين الإسرائيليين ليست من الجانب الإسرائيلي، وجميع الأخبار التي نسمعها من الجانب الإسرائيلي لا أحد يستطيع أن يؤكد صدقها، فهي تخرج من الإذاعة العسكرية الإسرائيلية وهذه الإذاعة ملك الجيش، تقول ما تريد ولا تقول ما لا تريد، وسنعرف الحقيقة عن قتلى إسرائيل ومصابيها وخسائرها في الحرب، عندما تشكل لجنة التحقيق التي توجب قوانينهم تشكيلها بعد كل حرب.

نعود إلى وصف الحال في غزة، فنقول إن العيب الرئيسي في أرض غزة هو هذه الجغرافية، أعني كونها أرضا مبسوطة مكشوفة، لكن هذه الجغرافية عندما نضيف إليها الديموغرافية، وهي التوزيع السكاني، نجد أن أهلنا في غزة لديهم مزية كبرى، لأن عندهم كتلتين سكانيتين، نفرض أن كل واحدة بها نصف السكان، يعني ٧٥٠ ألف إنسان في كل واحدة. كلما أراد الصهاينة أن يتوغلوا فيها مترا صُدُّوا، كلما حاولوا أن يدخلوها بأسلحتهم وآلياتهم ضُرِبوا، التوزيع السكاني للعرب المسلمين والمسيحيين في غزة يعطي مزية هائلة للمعركة القتالية البرية التي إما أن تأتي وإما أن تخرج إسرائيل كما دخلت، ونحن نعرف الصهاينة ونقرأ في تاريخ حروبهم معنا أنهم لا يثبتون لمواجهة مباشرة أبدا. والله تبارك وتعالى يقول عن أجدادهم، وهو خُلُقهم إلى اليوم: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الحشر: ١٤]. لكن نحن نسينا ما يقوله لنا القرآن الكريم، وبعض الناس الطيبين، يغفر الله لنا ولهم، كانوا يقولون إن هذه أوصاف اليهود الذين عاشوا في زمن النبي ﷺ لكنها ليست أوصاف اليهود الحاليين، والآن رَأَينا أنها في اليهود الحاليين، حذوك النعل بالنعل. أصحاب هذا القول كانوا مجتهدين مخلصين واجتهادهم كان خاطئا لكن لهم أجرهم على الاجتهاد.

ماذا فعلت إسرائيل؟؟ قتلت أكثر من ألف، وأصابت نحوًا من خمسة آلاف من المدنيين، والاعتداء على المدنيين في الحرب جريمة، تدينها المعاهدات الدولية كافة، ويقرر نظام المحكمة الجنائية الدولية عقوبة لها. ولا يجوز في الدفاع عن الصهاينة أن يقال إن المقاومة تقصف بصواريخها تجمعات مدنية صهيونية لأن المقارنة بين المدني الفلسطيني الأعزل وبين المستوطنين الصهاينة لا يمكن أن تكون مقارنة صحيحة. هذا قياس مع الفارق الكبير. هذا المستوطن مستعمر مغتصب محتل لأرضي، استولى على مُدني وقُراي، استولى على بيوتي وبيوت آبائي، ويعيش فيها عنوة؛ هذا يجوز قتاله أيا ما كان وضعه يجوز قتال نسائه ورجاله وعساكره. وهؤلاء لا يوجد فيهم مدني، كلهم قوات احتياط، وكلهم مسلحون، ونحن نقرأ كل يوم كيف يعتدي هؤلاء المستوطنين على العُزَّل في البيوت والشوارع والقرى بغير سبب إلا الرغبة الصهيونية المجنونة في سفك الدم العربي، وهي رغبة مدججة بالسلاح الأمريكي، وبتأييد ما يسمى المجتمع الدولي.

إذا قتلت المقاومة جنديا أو أسرته قام العالم كله اهتماما به أو خوفا عليه. لكن قتلى الفلسطينيين، والعرب عامة لا بواكي لهم(!) ونحن لا نريد أن يبكيهم أحد فعقيدتنا أن من ماتوا فهؤلاء شهداء، أحياء عند ربهم يرزقون، وأهل غزة يزفون شهداءهم إلى السماء بالزغاريد، هذا شعور الناس في غزة. في المقابل، الصهيوني إذا لم ينتصر بمعنى أن يقضي على المقاومة، لأن الهدف الحقيقي لهذه الحرب هو إنهاء وجود المقاومة، حماس الجهاد وكتائب أبو علي مصطفى والجبهة الشعبية وكتائب الأقصى وكل الكتائب المقاومة، فإذا خرجت إسرائيل من هذه الأرض ولا يزال فيها مقاوم واحد فقد أخفق عدوانها، وانهزمت جيوشها، ولو قتلت جميع المقاتلين الذين مجموعهم يزيد على ٣٠ ألف مقاتل. لو بقي شخص واحد فقط عنده مدفع رشاش يستطيع أن يضرب به على جندي صهيوني تكون إسرائيل قد هُزمت. ولا يجوز أن ننسى أن إسرائيل تحارب غزة. غزة المحاصرة منذ سنة ونصف، ومع ذلك

لم تسقط ولم يَهِن أهلها ولو كانوا جوعى، أو مرضى، أو مصابين لا يجدون العلاج، أو مغلقة أمامهم سبل كسب العيش بسبب الحصار الإجرامي... وكل ذلك كائن، وأهل غزة قادرون ـ على الرغم منه ـ على أن يصمدوا في مواقعهم، ويقاتل مقاوموهم بما لديهم من سلاح لا يقارن من أي وجه بسلاح العدو. هذا الوضع العجيب ـ تاريخيا، لا في واقعنا المعاصر وحده ـ يجعلنا نقول لأهلنا وإخواننا، لا في غزة بل في العالم الإسلامي كله، بل إن هذا الصمود البطولي نفسه هو هزيمة إسرائيل.

معيار النصر والهزيمة في معركتنا مع إسرائيل هو أن تستطيع إسرائيل القضاء على كل مقاومة، ليس في حماس فقط، وليس في غزة فقط، إنما في كل الأمة العربية. يجب، لكي تنتصر إسرائيل، ألا يكون هناك صوت واحد في هذه الأمة يقول: إسرائيل يجب أن تزول، يجب ألا يكون هناك واحد يشتري كوفية فلسطينية بقروش معدودة ليرتديها، أو يشتري علم فلسطين ويضعه في سيارته أو على بيته، أو يشتري وردة ويقول هذه ثمنها ذاهب لفلسطين، يجب ألا يكون هناك من ينفقون من أموالهم، التي هي قُوتُهم، لكي يدعموا إخوانهم في فلسطين.

أريد أن أخبركم بواقعة حدثت في الأسبوع الماضي مع سيدة فاضلة صديقة لأسرتي تزرونا من وقت إلى آخر. هذه السيدة تسكن في منطقة قريبة من القاهرة وتأتي إلينا بالمواصلات العامة، وفي طريقها تمر على سيدة تبيع الفجل والخس والخضروات، فقالت لها: «يا حاجة الدكتور قريبك ألا يمكنه أن يقول لنا نعمل أي شيء لفلسطين»؟ قالت لها: «كيف عرفت عن فلسطين»؟ قالت بائعة الفجل: «أنا أشاهد التلفزيون في المقهى الذي أمامي فقلبي يتمزق، أنا عندي بنات ينامون في حضني ليلا لكن البنات الفلسطينيات يقتلن فأنا أريد أن أفعل شيئا لفلسطين». فقالت لها صديقتنا: «ادع لهم، أنا سمعت الدكتور يقول من لا يستطيع أن يفعل لهم شيئا يدعو لهم». فقالت لها طيب. وفي اليوم التالي وصديقتنا تسير في الطريق نادت عليها السيدة نفسها وهي جالسة في المكان الذي تبيع فيه الفجل، وأعطت لها ٥٠ جنيهًا وقالت لها «هذا كل ما عندي من مال، لكن أنا استحرمت، استحرمت أن أبقيه في منزلي وأنا أملك قوت يومي من بيع الخس والفجل والخضار، فخذي هذه الـ ٥٠ جنيه وأعطيها لأحد يرسلها إلى فلسطين».

هذا الشعور الشعبي إذا بقي في هذه السيدة بائعة الفجل وأمثالها من البسطاء الطيبين

تكون إسرائيل قد هزمت. إسرائيل لا تنتصر إلا إذا زال من قلب كل عربي وكل مسيحي وكل مسلم في هذه المنطقة الكره لها، والرغبة في القضاء عليها، والحرص على هزيمتها، ودون زوال هذا من النفوس الصادقة الأبية خرط القتاد(!)

هل تذكرون عندما عقد الرئيس السادات الصلح مع إسرائيل، كانوا يرسلون له علماء طب نفسي، قال له أحدهم يجب أن نكسر الحاجز النفسي، فقال له ما هو الحاجز النفسي، قال له الكراهية الموجودة بين العرب وإسرائيل، فأكثر الرئيس السادات في هذه الفترة، فترة محاولة كسر الحاجز النفسي من لقاء الإسرائيليين، قابل وزراء ورجال أعمال، وقابل رئيس الحكومة، وقابل رئيس الجمهورية، وبعضهم قال عليه صديقي، «صديقي بيجين»، وعندما توفيت زوجة بيجين أرسل له أحسن واحد في رجاله يعزيه، وعزاه عزاء حارًا جدًا، فقلت له «ماذا كسبت من هذه الزيارة؟» قال لي «صليت في المسجد الأقصى»، قلت له «وهو تحت الاحتلال (!) لم يكن ينبغي لك أن تذهب لكن قَدَّرَ الله وما شاء فعل».

هذا الحاجز النفسي الحقيقي لم يستطع أحد أن يكسره أبدا، لكن لبعض الشباب المصريين واقعة طريفة حدثت في شارع البطل أحمد عبد العزيز في منطقة المهندسين بالجيزة، هل تذكرون أزمة البيض من عاش فترة ١٩٧٥-١٩٧٧ يتذكر كيف قفز سعر البيض من قرشين إلى خمسة قروش، فاستورد بعض ذوي الضمائر الميتة بيضًا من إسرائيل تباع البيضة بثلاثة قروش أو بقرشين، وأحد محال البقالة الكبرى وضع من هذا البيض مئات الكراتين على الباب لكي يقول للناس لا توجد أزمة بيض، فبعض الشباب من الطلاب في المرحلة الثانوية اغتاظوا، وكان قبلها الرئيس السادات قال سنستورد البيض من إسرائيل وسيكون بقرشين صاغ وسنضرب التجار الجشعين، وقبلها منع ذبح الحيوانات المأكولة اللحوم لمدة شهر، كنا في أزمة اقتصادية، اتخذت مجموعة من الإجراءات لكي نتجاوز هذه الأزمة منها استيراد البيض من إسرائيل، ووضعه هذا الرجل بهذا المنظر. فأربعة شبان من مدرسة ثانوية حكومية ركبوا على دراجتين بخاريتين وصعدوا بهما على الرصيف ودخلوا في كوم البيض (دشدشوا) البيض، أمسكوهم وأخذتهم الشرطة، المحقق الذي كان يحقق معهم عندما سألهم لماذا فعلتم هذا؟ قالوا له (إيه يا بيه؟ بنكسر الحاجز النفسي)، ضحك الرجل ورفع الأمر إلى رؤسائه فأفرج عنهم بكفالة زهيدة وانتهى الأمر.

إذا كُسِرَ هذا الحاجز النفسي بيننا وبين إسرائيل انتصرت إسرائيل، إذا بقي هذا الحاجز النفسي ـ ومهمتنا إبقاؤه وتقويته ـ هزمت إسرائيل.

ولا يجوز لأحد أن يظن أن معاهدة السلام تعني أن هناك محبة. كلا، معاهدة السلام تعني أن هناك إيقافًا مؤقتًا للحرب، والمعاهدة عقدتها الحكومات، ولا توجد معاهدة في التاريخ إلا نُقِضَتْ حتى المعاهدة التي عقدها النبي ﷺ مع أجدادهم في المدينة هم أخلوا بها وخانوا عهدهم فيها، فاضطر ﷺ إلى أن يخرجهم ويحاربهم... إلخ. فالأمر ليس أمر حرب: غدًا أخرج بجيشي للحرب. أنا ليس عندي جيش جاهز لذلك أصلا. أنا جيشي غير مستعد لهذا، ولكي أعده يجب أن أعد الجبهة الداخلية أولا، كما فعلنا في حرب رمضان ١٣٩٣هـ = أكتوبر ١٩٧٣م عندما بقيت الجبهة الداخلية متماسكة متراصة من بداية الحرب إلى نهايتها.

يتحدث الإعلام الصهيوني عن إصابات الجنود الصهاينة وقتلاهم فيزعم أنها تقع بنيران صديقة. لا بأس، نحن نؤمن باستمرار انطباق قول الله تعالى ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٧-١٨]، نؤمن باستمرار انطباقه على كل حرب بين المؤمنين وعدوهم. فحتى لو كان قتل الصهاينة وإصابتهم بنيران صديقة فلا بأس، لا ألمهم يختلف، ولا شعورهم بالهزيمة يختلف، ولا شعورنا بأننا نلنا منهم، كما نالوا من الأطفال والنساء والعجزة والمدنيين العزّل، يختلف(!) لكن هذه الرواية المزعومة، رواية نيران صديقة، تدلك على أن هناك هزيمة داخلية لأنني عندما أضرب فأقتل قائد لواء جولاني، عندما أضرب فأصيب قائد كتيبة من كتائب هذا اللواء، فليس هذا أمرا طبيعيًا ولا هو من المعتاد في الحروب، فعندما تقول لي إن هذا تم بنيران صديقة فإمّا أنك تضحك عليَّ وإما أن جنودك لا يعرفون القتالَ!!

نحن حاربنا إسرائيل، نحن المصريون، حاربنا إسرائيل قبل ذلك ٤ مرات أو ٥ مرات السوريون حاربوها مرة أو مرتين الأردنيون حاربوها مرة أو مرتين اللبنانيون حاربوها مرتين أو ثلاثة. والفلسطينيون شاركوا في كثير من هذه الحروب لكنهم لم يواجهوا العدوَّ الصهيوني وحدهم قط. أول مواجهة للفلسطيني صاحب الأرض والعرض والمقدسات والحارس على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، أول مواجهة بين الفلسطيني صاحب هذا

كله، وحده دون مشاركة من جيوش عربية، وبين العدو الصهيوني المستعمر هي هذه المواجهة في غزة.

وهذه المواجهة أقرب شيء إلى ما يقولون له في اللغة العسكرية «تدريبات بالذخيرة الحية». هذه هي أول تدريبات للفلسطينيين بالذخيرة الحية يواجهون فيها عدوًا قاتلا يريد إبادتهم، فيردون عليه فيقتل منهم ويقتلون منه، هو يقتل نساءً وأطفالاً ورجالاً عجزة غير قادرين على التحرك، وهم يقتلون جنودا وضباطًا ولواءات وعمداء ويدمرون دبابات ومصفحات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، ثم ستضع هذه المرحلة من الحرب أوزارها، سيقف إطلاق النار قطعا، وستجري ترتيبات لذلك. ثم تكون بعد ذلك جولة أو جولات، ويكون لنا في خاتمتها النصر إن شاء الله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

في الحرب الدائرة الآن على أهلنا في غزة لدينا مسألة يجب الوقوف عندها، هي مسألة ما يسمى «المجتمع الدولي». المجتمع الدولي ليس إلا أسطورة، أو أكذوبة، لأن المجتمع له عدة تعريفات في علم السياسة وعلم الاجتماع لا ينطبق أيٌّ منها على المجتمع الدولي. هو خرافة.. خرافة اخترعها علماء السياسة الأمريكيون وعلماء السياسة الأوروبيون لكي يروجوا بها للسلطة العليا للرجل الأبيض، هل يوجد أحد في المجتمع الدولي أسود؟ هل يوجد أحد أصفر؟ هل يوجد أحد من الآسيويين الذين هم بين السود والصفر؟ هل يوجد أحد من إيران وتركمانستان وتركيا وكل منطقة آسيا الوسطى في المجتمع الدولي؟! لا يوجد أحد. المجتمع الدولي هو الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن واستَبعِدْ منها الصين لأن الصين لا تشارك الرجل الأبيض لونه ولا مصالحه؛ فبقيت الدول الأربع الأخرى وهي دول بيضاء، ومعها الدول التي تسيطر عليها أمريكا، وتسيطر عليها أوروبا، بالاستعمار سابقا وبالمعونات والتهديدات حاليا، فهذا هو المجتمع الدولي. عندما نقول مجتمع دولي ونفككه إلى وحداته وعناصره لا نجد شيئا، فالقرار الدولي عندما نفككه إلى عناصره نجد أنه يبدأ بإرادة عدد من الدول ثم توافق عليه أغلبية أعضاء منظمة الأمم المتحدة. لكن الواقع أنه

كلما تقدم عدد من الدول بمشروع قرار إلى رأس المجتمع الدولي، إلى مجلس الأمن، أحبطته دولة واحدة اسمها أمريكا، آخر شيء المشروع الأوروبي، الفرنسي ـ المصري، الذي تقدموا به إلى مجلس الأمن لكي يصدر به قرار، فالولايات المتحدة الأمريكية قالت: لا، لا يصدر قرار، لكنْ يصدر بيان رئاسي غير ملزم، بيان يوقع من رئيس مجلس الأمن، رئيس مجلس الأمن هذا يأتي بالدور من بين الأعضاء الدائمين وغير الدائمين، والدول دائمة العضوية عندها ما هو أهم من الرئاسة عندها (الفيتو) أي حق الاعتراض على أي قرار يريد المجلس أن يصدره، طبقا لأي فصل من فصول الميثاق، بما فيها الفصل السابع (استخدام القوة). البيان الرئاسي ليس له أي قيمة ولا حتى قيمة أدبية، قيمته تسجيلية فقط، أن يُسجَّلَ به موقف ثم يذهب كل عضو، أو دولته، إلى حيث شاءت.

تقدم الفرنسيون والمصريون ومعهم بعض الدول العربية بمشروع قرار إلى مجلس الأمن فأُحْبِطَ من اللحظة الأولى، الحقيقة أنه كانت هناك مهانة فظيعة للعرب؛ وهم في الطريق، قبل أن يقطعوا الـ ١٢ ساعة سفر إلى نيويورك، كان مشروع القرار قد رفض، قبل أن يذهبوا ليدافعوا عنه، أو يشرحوه، مجلس الأمن رفضه قبل أن يصلوا؛ وصلوا وحدث ما حدث من السيدة المبجلة كونداليزا رايس وزيرة خارجية أمريكا، التي قررت أن تستقبل الوفد العربي باستثناء رجلين: السيد عمرو موسى، وهو من أفضل رجال الدبلوماسية العربية على مر التاريخ، والسيد أحمد بن عبد الله آل محمود وزير الدولة القطري للشؤون الخارجية، الذي ذهب مع وزراء الخارجية لأن وزير الخارجية القطري كان مشغولاً بأمور أخرى، فذهب بقية الوزراء لمقابلة السيدة رايس، وهذان لم يذهبا.

إنه مما يثير العجب أنه لم يخطر ببال الوزراء المحترمين، أن يتضامنوا مع أخويهم اللذَّيَن مُنِعا من مقابلة كونداليزا رايس، كيف لم يتضامنوا معهما؟ كيف يذهبون ويقابلوها بعد أن قيل لهم هذان لا يحضران؟ ولكن الذي يزيل العجب ويجعله ينقضي، ويتحول من عجب واستغراب إلى نوع من الحزن الداخلي، الحزن الذي تشعر كأن أحدًا جُرِحَ أمامك وأنك لا تستطيع فعل شيء له، حدث بعد ذلك؛ عندما عُقِدَ اجتماع آخر بعد عدة ساعات مع السيدة نفسها فذهب إليه الرجلان اللذان كانا مستثنيين من الاجتماع الذي عقد أول مرة، قَبِلا أن يذهبا بعد أن منعا من الدخول في أول مرة. وهذا وحده يفسر كثيرا مما نلاحظه ونسمعه عن مدى احترام الولايات المتحدة الأمريكية لحكوماتنا ومسؤولينا(!)

وخرجت السيدة كونداليزا رايس بكلام قالته للوزراء لم يعلن، ولم يصدر بيان مجلس الأمن، عندئذ قال وزير خارجية المملكة العربية السعودية الأمير سعود الفيصل: إن هذا دليل على عدم مصداقية مجلس الأمن إذا لم يصدر قرارًا، فطبعا المملكة لها وزن خاص في العالم، فاجتمع مجلس الأمن سريعا، في اليوم التالي، وأصدر قرارا سماه قرار: وقف إطلاق النار، وعدم استهداف المدنيين من الطرفين، لكن المقاومة الإسلامية الممثلة في الفصائل المختلفة، قالت إننا لم نُسْتَشَرْ في هذا الأمر، نحن المعنيون، نحن المقاتلون، نحن الذين نهدد بالموت كل يوم، نحن الذين يُسْتَشْهَدُ منا قادة كل يوم لم يستشرنا أحد، من ذهب يلتزم وهذا كلام صادق صحيح. لكن الأنكى من ذلك أن السيدة ليفني، وزيرة خارجية إسرائيل، أعلنت فور صدور القرار أن إسرائيل لن تلتزم بهذا القرار، وأنها ستستمر في عملياتها العسكرية في غزة وفقا لما يحقق مصالحها(!) هل يعقل أن مصالحها تتفق مع مصالحنا، هل يعقل أن مصالح إسرائيل في غزة تكون محققة لفائدة العرب والمسلمين لكي يقول بعض الناس، مثل السيد/ محمود رضا عباس اليوم يجب أن تلتزموا بقرار مجلس الأمن لأن هذا هو مفتاح الحل هو والمبادرة المصرية. وإسرائيل رفضت المبادرة المصرية ورفضت قرار مجلس الأمن، لمن يقول التزموا؟ هذا كلام قد يقال للصحفيين الموجودين أمامه أو لطاقم الجزيرة الذين كانوا يسجلون له، لكنه لا يصل إلى إسرائيل، ولا يصل إلى المقاومة، ولا يصل إلى الشعب الفلسطيني. الشعب الفلسطيني مستعد أن يقدم كل يوم ١٠٠ شهيد و١٠٠٠ شهيد دون أن يتنازل عن شبر واحد من أرضه.

* * *

لقد أعلن البنتاجون ـ وزارة الدفاع الأمريكية عن مناقصة مستعجلة مدتها ثلاثة أيام ـ الإعلام لم يذكر المدة ـ لشحن ذخائر إلى إسرائيل بعدة ملايين من الدولارات ستشحن من أقرب قاعدة عسكرية أمريكية على البحر المتوسط، يريدون شيئا يصل غدا، شيئا موجودا على بعد تستطيع السفن قطعه في ١٨-١٩ ساعة، قبل أن تمر ٢٤ ساعة تكون الذخيرة وصلت إسرائيل. لماذا؟ هل ينقص إسرائيل ذخيرة؟! هل إسرائيل بددت الذخيرة التي لديها في قصف أهلنا في غزة؟! ألم يكن في مخازن إسرائيل ما يكفي لقتل العرب جميعا؟! لابد أن شيئا من هذا حدث. أو أنه الابتزاز الصهيوني المعروف.. (الحقونا نحن

خسرنا نصف الذخيرة في غزة أعطونا مقدراها ٣-٤مرات)، والأمريكان طيبون وبرءاء النية ويحبون مساعدة أصدقائهم ولا يهون عليهم أن تكون إسرائيل في أزمة، ولو كانت أزمة مكذوبة، فأعلنوا عن هذه المناقصة، مدتها ثلاثة أيام فقط، لشحن ذخائر على وجه السرعة من أقرب ميناء على البحر الأبيض المتوسط إلى إسرائيل، ما هو الشرط؟؟ أن من يتقدم إلى المناقصة بعطاء يكون لديه سفن ووسائط نقل، يعني سيارات وشاحنات، تنقل من الميناء إلى المخازن، وتستطيع أن تنجز المهمة قبل يوم ٣٠ يناير ٢٠٠٩. أيُّ مناقصةٍ في العالم تعطي الناس مهلة كافية لكي يدرسوا وثائقها ويعرفوا الشروط ويتأكدوا من القدرة على تلبيتها. ونقل الذخيرة يحتاج إلى شركات مستعدة وعندها أساطيل نقل مجهزة وكافية، تحدد مدة المناقصة بـ ٣ أيام ومدة التسليم بـ١٧ يوم(!) أيَّ نوعٍ من الفزع ومن الهلع ومن الرعب ومن الخوف هذا؟ هذا هو الرعب الذي قذفه الله في قلوب الصهاينة حتى استغاثوا بحليفتهم الكبرى ومؤسستهم ومنشئتهم أمريكا: (أرسلي لنا ذخيرة قبل نهاية الشهر) هذه هزيمة، صادقةً كانت حاجتهم إلى الذخيرة أم كاذبة.

هل تذكرون؟ حرب ١٩٧٣ ومد جسر جوي من الدبابات من أمريكا إلى أرض سيناء، وقال الرئيس السادات أنا لم أكن مستعدا لمحاربة أمريكا، أنا كنت مستعد أحارب إسرائيل لكن أمريكا لا. وهو كلام صحيح من الناحية العسكرية، أمريكا عندما حدث ما حدث من دمار لإسرائيل في سيناء واستسلم عساف ياجوري ودُمِّر لواء دباباته كله، في اليوم التالي مباشرة مُدَّ الجسر الجوي، كانت الدبابة تنزل بقائدها وطاقمها، الشيء نفسه يتكرر الآن مع فارق مهم، في سنة ١٩٧٣ إسرائيل كانت تحارب مصر بجلالة قدرها، وعظمة تخطيطها، وعقول أبنائها، والحرص على الثأر لقتلانا وكرامتنا، الذي كان يملأ النفوس بعد ١٢ سنة احتلال. اليوم إسرائيل تحارب المدنيين المساكين العزل الفقراء البسطاء الموجودين في غزة، وحدث لها هناك ما حدث معها في حرب سنة ١٩٧٣، إذن المقاومة في غزة بعد مرور ١٥ يوم على الحرب واليوم الـ ١٦ بدأ الآن بعد غروب شمس هذا اليوم، المقاومة ليست في وضع سيء بل هي في وضع يكبد إسرائيل خسائر لم تكن تحلم بالتفكير فيها، ويجعلها تلجأ إلى حليفتها الولايات المتحدة الأمريكية وتقول بسرعة أنقذوني في خلال ١٧ يوم ابعثوا لي الذخائر لأن أنا ذخائري جرى لها ما جرى. إن كان هذا صدقًا فالحمد لله وإن كان هذا ابتزازًا فالحمد لله، لأن هذا غرامة على الأمريكان، وخسارة مالية على الأمريكان، وإظهار

هلع وقلق على كل الجبهات داخل إسرائيل وخارجها، وهذا كله انتصار للمقاومة وانتصار للذين يقفون في وجه هذا العدوان الصهيوني.

❁ ❁ ❁

الموقف المحلي... رأيت صورةً أمس ولم أجدها مرة أخرى، كاميرا إحدى القنوات في غزة تصور بعض العائلات في أحد الأحياء السكنية وضعوا ملاءةً على الأرض وجلست مجموعة من الرجال والنساء والأطفال وأتوا بوعاء فيه زيت الزيتون يأكلون معه زعتر بكسر خبز؛ كان كل منهم يأتي بما عنده ويضعه على الملاءة ثم جلسوا جميعا يأكلون بعضهم مع بعض، وعندما تذاكرنا، أخي الدكتور محمد هيثم الخياط وأنا، هذه الصورة قلنا في لحظة واحدة اسم حديث من الأحاديث المتفق عليها، حديث أبي موسى الأشعري، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأشعريين كانوا إذا أرملوا في الغزو، أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحدٍ، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحدٍ بالسَّويَّة، فهم مني وأنا منهم». والمعاني التي شرح بها العلماء عبارة (فهم مني وأنا منهم) كلها معانٍ سامية جميلة تدل على الفضل الذي ينال هؤلاء القوم. ومن سنَّ سُنَّةَ هؤلاء القوم كان له مثل فضلهم بإذن الله.

لقد كان الأشعريون قوما عابدين متبتلين صادقين حتى إنهم اقتسموا اللقيمات بينهم كما يفعل الآن أهل غزة، فلنذكر ونحن نصنع الموائد العامرة، ونقيم الولائم الكبيرة، ثم نتخلص من بواقي الطعام لأن الثلاجات والمجمّدات مليئة بغيره(!) لنتذكر أن لنا إخوانا يقتسمون اللقيمات ونقطة الزيت وحبات الزعتر لأنهم لا يجدون سواها. ولنتذكر أنه في تراثنا: «ليسَ منّا من بات شبعان وجاره جائع».

أما وقد ذكرنا ذلك فإن لنا أن نتساءل أية دولة عربية في الـ ٢٢ دولة الأعضاء في جامعة الدول العربية، أو أية دولة إسلامية في الـ ٥٧ دولة الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، قامت بتقديم الطعام على هذا النحو لأهلنا في غزة؟!

إن كل متقاعس عن مدِّ يد العون والمواساة إلى أهلنا في غزة، وهو قادر على ألا يتقاعس، يلقي بيده إلى التهلكة مخالفة قول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وليس هناك ذريعة تسوغ أن يقِفَ أحد

من القادرين مكتوف اليدين قِبَلَ ما يجري لإخواننا في فلسطين، لا ذريعة سياسية ولا ذريعة عسكرية، ولا ذريعة من المعاهدات الدولية، ولا ذريعة من الخوف والرعب، ولا ذريعة من الرغبة في حماية الآباء للأبناء أو حماية الأبناء للآباء، كل هذه الذرائع أكاذيب لا تصمد أمام سؤال الله تبارك وتعالى يوم القيامة.

آخر شيء في الموقف المحلي، ما صدر عن الحزب الحاكم في مصر، الذي يسمى الحزب الوطني الديمقراطي، صدر عنه بيان في ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٨. البيان ينتقد حركة المقاومة الإسلامية حماس ويصفها بأنها مغامِرة وغير مسؤولة وغير قابلة للنصح بعد أن تجاهلت رأي مصر في التطورات التي سبقت الهجوم الإسرائيلي، حسب بيان الحزب. وقال البيان: إن مصر ضحية حملة منظمة من حماس وحلفائها في المنطقة وهم إيران وسوريا وحزب الله في لبنان. والأمانة، أمانة الحزب الوطني، تسجل مسؤولية حماس عما وصلت إليه الأمور في غزة، لأنهم لم يستمعوا إلى النصائح المصرية، وقاموا بما قاموا به بروح المغامرة وعدم المسؤولية، والشعب المصري لن ينجر وراء دعاوى المغامرين وأهدافهم(!)

والواجب أن نسأل الإخوان الذين كتبوا هذا البيان: ألا يتذكرون ما كتبوه يومي ١٢ و١٣ من شهر يوليو سنة ٢٠٠٦؟ كتبوا العبارات نفسها والألفاظ نفسها تقريبا، وقالوا إن حزب الله وحسن نصر الله لم يستمعوا إلى نصيحة إخوانهم السياسيين العرب الذين توافدوا وفدًا وراء وفدٍ على بيروت، وأبلغوهم هذه الرسائل: إياكم أن تدخلوا هذه المغامرة، وأنذروهم بالويل والثبور وعظائم الأمور؛ والصحف كتبت عن انهيار لبنان، دمار لبنان، انتهاء قوة حزب الله، وحزب الله يتصدى للعدوان إلى أن انتهت الأيام الثلاثة والثلاثون، التي صامها رجل من حزب الله من أولها... إلى آخرها؛ وأتى اليوم الرابع والثلاثين فإذا ببيروت في ظهر هذا اليوم، أو قل في مغربه على الأكثر، ليس فيها واحد ولا عائلة ممن نزحوا من الجنوب ولا من المناطق المنكوبة، وكانوا كلهم قد دُفِعتْ لهم تعويضات مالية تكفي ليعودوا إلى مدنهم وقراهم ويبنوا بيوتهم أو يشتروا بدلا منها، أو يستأجروا بيوتا مؤقتة حتى يبنوا بدلا من بيوتهم المدمرة، وآخر ناس سكنوا في بيوت جديدة، أو وجدوا مسكنا بدل الذي تهدم، كانوا قيادات حزب الله في الضاحية الجنوبية من بيروت. وسوف يحدث مثل هذا بإذن الله في غزة بعد انتهاء العدوان الصهيوني.

فهؤلاء الناس الذين يضحون بأنفسهم في سبيل أمتهم وشعوبهم لا يقول لهم أحد إنهم يغامرون لأن هذه أوصاف لا يصح أن تصدر من أحد يعرف حقيقة من يتحدث عنهم. ولا يستطيع عاقل أن يتهم من يُقْدِمُ على الشهادة في سبيل الله بأنه جبان أو أنه مغامر، أنت لست مغامرا حسنا.. لكن لا تتهم الأبطال الشجعان الشرفاء بأنهم مغامرون.

❁ ❁ ❁

عندما نتحدث عن مواقف العالم في دعم المقاومة يجب أن نتذكر الموقف التركي رئيس وزراء تركيا، رجب طيبّ أردوغان قال: «إنَّ أهالي غزة يعيشون داخل سجن، وهم معزولون عن العالم، وفي ظروف استمرار هذا الحصار البائس جاءت زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى أنقرة قبل أيام من أجل بحث الجولة الخامسة من المفاوضات بين سوريا وإسرائيل وطال الحديث حتى قلت له: إننا يمكننا أن نساعده على المسار الفلسطيني، بل قلت له تحديدا إننا نعرض الوساطة مع حماس فإذا أطلقتم سراح السجناء الفلسطينيين من النساء والأطفال (فقط) في السجون الإسرائيلية فإنه يمكن أن ننقذ الجندي الإسرائيلي الأسير لدى حماس، فرد علي وقال: إنه سيشاور مستشاريه وقال إنه سيرد علي بعد غدٍ، وكان بعد غدٍ هو السبت الذي حدثت فيه الحرب، فأنا شعرت بمهانة كبيرة لتركيا».

شَعُر بمهانة كبيرة لتركيا لأن أولمرت قال له سأرد عليك بعد غد وبعد غد ذهب وضرب غزة بالطريقة التي نعرفها. هناك آخرون أُعلن الاستعداد لضرب غزة من بلادهم، ولم يشعروا بأي شيء، بل بالعكس شعروا أن أهل غزة لم يقوموا بما ينبغي أن يقوموا به من الانصياع الكامل للتعليمات التي تصدر من الأخ الأكبر المسيطر على الأمور كلها، هناك أناس لا يزالون يعيشون هذا الدور مع أنهم فقدوا مقوماته.

قال أردوغان: «أنا بجميع المقاييس أعتبر ما يجري في غزة مأساة لا يمكن لي كإنسان أو كرئيس وزراء مسؤول أن أصبر أو أن أتحمل هذا الأمر ولا أن أقف متفرجا لأن من واجبي أن أضع نفسي في موضع المصاب فأفعل مثلما كان يفعل. إن إسرائيل ارتكبت هذه المجازر سابقا في مناطق كثيرة جدا من فلسطين، أهلكت فيها الحرث والنسل ولم يحاسبها أحد على ما فعلت، بل إن إسرائيل لم تنفذ أي قرار من قرارات مجلس الأمن المتعلقة بهذا الشأن لأن أحدا لم يحاسبها على خرق القانون الدولي».

قارنوا بين كلام رئيس الوزراء التركي وبين ما يقوله بعض المسؤولين في بلادنا. لقد صدّعوا رؤوسنا بالحديث عن القانون الدولي وباتفاقية كامب ديفيد وبقولهم نحن علينا قيود.

لماذا نحن وحدنا علينا القيود؟ لماذا نحن علينا قيود وإسرائيل ليس عليها قيود؟ الجواب ليس عند هؤلاء السياسيين، الجواب عند الشاعر الذي قال:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجـرح بميت إيـلام

قال المذيع المحاور لأردوغان: لماذا لا تطردون السفير الإسرائيلي من أنقرة؟

قال أردوغان: «السياسة ليس بها مكان للعواطف، إنما هناك جدول زمني للإجراءات التي سوف تتخذها تركيا على مراحل حسب الضرورة والمصلحة وحسب مرور الأحداث. نحن الآن نسعى في إطار العمل إقليميا ودوليا، وكما تعرف: تركيا عضو غير دائم الآن في مجلس الأمن وهذا يحملنا أعباء، لكن إذا انتهى هذا إلى لا شيء سيكون لنا مواقف أخرى. ولتركيا دور تاريخي في هذه المنطقة وعليها مسؤوليات كبيرة، وإسرائيل تسير في الطريق الخطأ، لا يمكن قتل الناس من أجل دعاية انتخابية أنا أعتبر أن ما يجري في غزة الآن دعاية إسرائيلية انتخابية وهذا أمر خطر للغاية لن تسكت تركيا عليه».

ـ سأله المذيع: أنت فقدت الأمل؟

قال له: «لا.. أنا لا أفقد الأمل لكنني مع الأسف شاهدت العالم العربي منقسما وعلى خلاف مع بعضه البعض لا اتفاق ولا انسجام، وإذا نظرنا إلى الأمر من نظرة أوسع فإن النتيجة التي خرج بها اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة تؤكد على ضرورة لملمة هذه الفرقة ووضع حد لها من أجل توحيد الجهود والآراء».

ـ سأله المذيع: وماذا عن التهدئة؟

قال له: «دعني أقل لك إن إسرائيل هي من خرقت التهدئة. حماس لم تضرب صواريخ، حماس التزمت بالتهدئة ستة أشهر والعودة إلى العنف والتحريض عليه والتحريض على خرق التهدئة جاء من جانب إسرائيل و لم يأت من جانب حماس، وأنا لا أستطيع أن أقول غير ذلك لأنه كذب».

هذا رجل تركي مسلم ليس فلسطينيًا ولا عربيًا، قال في خطابه الذي قاله أمام البرلمان التركي كلمة تكفي للإطاحة بحزبه كله، قال أنا لا أتحدث بصفتي رئيس الوزراء المنتخب من حزب العدالة والتنمية، «أنا أتحدث بصفتي زعيم هذه الأمة التي هي أمة أحفاد العثمانيين الذين آووا اليهود عندما حدثت عليهم المجازر في أوروبا، عندما حدثت عليهم الحرب في الأندلس». فقوله إنه زعيم أمة هي «أحفاد العثمانيين» يعني أنه زعيم منتخب، يعرف نبض شعبه ويستجيب له؛ ليس كزعماء التغلب الذين لم يعاشروا الشعوب ولا يعرفون كيف تفكر ولا ماذا تريد، وإذا عرفوه لا يهتمون به أصلا. هؤلاء من واد والحاكم المنتخب انتخابا ديمقراطيا حرا من وادٍ آخر. والواديان لا يلتقيان!

النشاط الدبلوماسي والموقف السياسي التركي يجب أن يوقفانا عند أمرين: الأول، أنه يرفع عن إخواننا في فلسطين مذلة البقاء تحت المظلة العربية لأن البقاء تحت المظلة العربية الآن مذلة، لأن هذه المظلة ليس بها واق من الشمس ولا واق من المطر ولا مانع من الحشرات التي تسقط على رأسهم. فأول ساتر يأتي لرؤوسهم من هذه الشمس المحرقة هو المظلة التركية، وهذا الرجل الذي أدرك مسؤوليته، رجب طيب أردوغان، لو لم يفعل غير هذا في حياته لكفاه فخرا وعزا في الدنيا والآخرة.

الأمر الثاني أنه سيضع الملوك والرؤساء والزعماء والسياسيين والعلماء والمشايخ العرب في حالة حرج هائل، لأن من يتظاهرون لا يقولون هذا، من يخطبون يوم الجمعة لا يقولون هذا، الذين يظهرون في التلفزيون لا يقولون هذا، أنا لم أسمع أحدًا يقول عبارة **إسرائيل غلطانة**. أنا سمعت من يقول إن الشعب الفلسطيني ليس رخيص الدم وليس مهدر الدم. طيب ماذا يعني هذا؟!! من الذي سيدفع ثمنه؟ ومتى؟ لم يقل أحد **إسرائيل غلطانة، إسرائيل أجرمت، إسرائيل خرقت التهدئة**، هذا كله قاله رجب طيب أردوغان فسبب حرجا كبيرا للذين يدَّعون أنهم ينصرون المقاومة الفلسطينية، ثم يكتفون بكلام رقيق هادئ لا يجرح مشاعر الصهاينة المرهفة!

لقد أظهر الحديث الذي أجرته قناة الجزيرة، وخطاب أردوغان في البرلمان التركي حكمته وحنكته. فقد كرر دائما قوله: **نحن نضع يدنا في يد مصر، لأن مصر هي الدولة الأولى في المنطقة التي عليها أن تتحمل العبء الأكبر، وقد تحملته على مر التاريخ، وسنعمل**

معها بكل إخلاص، لأنه ليس عندنا حساسية، ونحن لسنا باحثين عن دور، نحن لنا دورنا في المنطقة وسنذهب للدولة التي لها في فلسطين الدور الأكبر ويدنا في يدها، ولذلك أرسل مستشاره السياسي مع وفد رفيع المستوى ليشارك في المفاوضات التي ستجري بين رئيس المخابرات المصرية ووفد حركة حماس.

لدينا موقف آخر متعلق بتركيا وإسرائيل؛ بزيارة السيدة ليفني، وزيرة الخارجية الصهيونية لتركيا. ليفني كانت هنا في مصر قبل العدوان بيوم، فلما تبين الموقف التركي بعد بدء العدوان طلبت زيارة تركيا، فرد عليها وزير الخارجية التركي ردًا رسميًا، قال لها: أرجو أن نعرف سبب الزيارة. فقالت: إنني أود زيارة أنقرة لإطلاع المسؤولين الغاضبين هناك على مبررات العدوان الجاري على قطاع غزة، فرد عليها وزير الخارجية التركية رسميا: إذا كان هذا هو سبب الزيارة فلا تأتِ(!) وهذا لم يحدث في التاريخ. لم يعامل أحدٌ من العرب أوالمسلمين مسؤولا صهيونيا بهذه الطريقة قبل هؤلاء الأتراك. الأتراك قالوا لوزيرة خارجية إسرائيل لا تأتِ إلى بلادنا. على الطرف الآخر نحن رأينا عالمًا ذا عمامة كبيرة المقام يسلم على رئيس إسرائيل ويقول (وأنا أعرفه منين ـ يقصد شمعون بيريز ـ أعرفه منين واحد ماشي في الشارع ويسلم عليَّ أقو له لا)؟؟!! ثم قال ما يعرفه القراء كافة مما لا داعي لذكره (!)

ثم رأينا ملكًا عربيًا مسلمًا من أسرة ذات ماضٍ عريق، يدعو هذا الرئيس الصهيوني إلى حوار الأديان في الأمم المتحدة، في نيويورك، ويدعوه ويتكلم معه، ويشربان نخب الحوار معا أمام عدسات المصورين!! بينما هؤلاء الأتراك العلمانيون ورثة أتاتورك وورثة العثمانيين يقولون لوزيرة خارجية العدو إذا كنت تريدين الكلام في موضوع غزة من فضلك لا تأتِ(!) هكذا بكل رجولة وشجاعة. طبعا إسرائيل لم تسكت وبعثت رسالة أخرى قالت فيها نحن بيننا حلف استراتيجي وصداقة عميقة، وهناك جمعية للصداقة فيها ٣٠٥ عضو برلمان من حزب العدالة وغيره فكيف ترفضون الزيارة، فالرد كان غريبا جدا، في نفس اليوم الذي وصل فيه هذا الخطاب ـ طبعا هناك توجد حرية ـ ينشر الخطاب في الصحف وقت ما يصل، ونشر في الصحف وفي التلفزيون، أعلنت استقالة ٣٠٠ نائب في البرلمان التركي من عضوية جمعية الصداقة التركية الإسرائيلية من أصل ٣٠٥ نائبا، بمن فيهم رئيس الجمعية.

السيد أردوغان رفض في الأسبوع الماضي، أي قبل طلب الزيارة، رفض الرد على اتصال

هاتفي من أولمرت عدة مرات، احتجاجا على العدوان الإسرائيلي على غزة، لأنه اعتبره إهانة لتركيا. هذا هو الموقف التركي من ناحية رئيس الوزراء ومن ناحية وزير الخارجية، ومن ناحية الإعلام الصادق الشفاف الذي لا يستطيع أن يخفي شيئا عن الشعب التركي.

هل لنا أن نقول: اللهم زيِّن بلادنا بأمثالهم؟؟

* * *

هناك بعض الأمور التي يجب أن تقال:

الأمر الأول: أنه لا يجوز أن يغيب عن بال مصري، ولا عن بال عربي متابع لتاريخ المنطقة، أن هزيمة المقاومة في فلسطين، وفي غزة بوجه خاص تمثل خطرًا حالاً على الأمن القومي المصري. أن تجتاح إسرائيل غزة هذا تهديد مباشر للأمن القومي المصري. ومصر لا يجوز أن تسمح بهذا. مصر عندما تعمل من أجل التهدئة لا تصنع ذلك لمصلحة إسرائيل ولا لحسابها. مصر تعمل على التهدئة تجنبا لتعرضها هي لمخاطر حرب على حدودها تضعها في موقف بالغ الحرج في ظل الاتفاقية المعقودة بينها وبين إسرائيل. هناك من يقولون: نخشى إذا فتح معبر رفح أن يتدفق أهل غزة إلى مصر بلا ضابط. لو حدث هذا ـ وهو بعيد الحدوث جدًّا ـ فإنه سيكون أقل الأخطار التي تتعرض لها مصر. أعظم هذه الأخطار أن الصهاينة الذين طردناهم من بلادنا بشق الأنفس سنة ١٩٧٣ سيعودون إلى حدودنا مرة ثانية منتصرين على إخواننا في فلسطين. وللنصر عند الصهاينة نشوته التي يجب أن يكون إعداد العدة لمواجهتها من الأولويات المطلقة لمصر.

بعض الكتاب والمحللين السياسيين يقولون إن انفراد حكومة حماس المنتخبة بالسلطة في غزة يهدد الأمن القومي المصري. ويعللون ذلك بالصلة بين حماس جماعة الإخوان المسلمين وبين إيران، وهذا كلام غير صحيح. واقع الأمر أن وجود إسرائيل على الحدود المصرية هو أول وأكبر تهديد للأمن القومي المصري، الموجود في غزة ليس نظاما، وليس جزء من التنظيم المصري للإخوان المسلمين. والتعاطف الإسلامي مع حماس يشمل كل القوى الإسلامية في العالم. ووجود حماس ليس مستندا إلى دعم من إيران اللهم إلا الدعم المعنوي. فلا يستطيع أحد أن يقول ـ وهو على صواب ـ إن نظام غزة الذي هو مجموعة

من المجموعات الفلسطينية استقلوا بجزء من وطنهم نتيجة صراع داخلي، يصبح نظاما مدعومًا من إيران فيكون خطرا على الأمن القومي المصري، أو أنه نظام صديق للإخوان المسلمين فيصبح مهددًا للأمن القومي المصري. هذا كلام غير صحيح، حتى رجال الأمن القومي أنفسهم لابد أنهم يعرفون أن هذا غير صحيح. الخطر على الأمن القومي المصري هو وجود إسرائيل، وجود طائرات الصهيونية تقصف رفح الموجودة على الحدود المصرية صحيح أنها لم تقصف داخل مصر حتى الآن لكن قد تسقط قنابل داخل مصر[٢٩]، وقد تسقط قذائف مدفعية داخل مصر لا نعلم، لكن الخطر الحقيقي هو وجود هذا الكيان الصهيوني على حدود مصر، هذا هو الخطر على الأمن القومي، والخطر على الأمن القومي القناة التي تريد إسرائيل شقها بين البحر الأبيض والبحر الميت لكي تغلق قناة السويس بعد أن اصطنعوا هم وأنصارهم ومن يعملون لديهم موضوع القرصنة في خليج عدن وفي الصومال لكي تهرب السفن الكبيرة من قناة السويس تمهيدا لما سيحدث بعد ثلاث سنوات إذا نفذ المشروع، إن شاء الله لن ينفذ.

الخطر على الأمن القومي تهديدنا في ماء النيل، والاتفاقات التي تجريها إسرائيل لإنشاء ١٣ سدًا في أثيوبيا على منابع النيل التي تمدنا بشريان الحياة الوحيد، الذي لو جف ماتت مصر عطشًا، وأصبحت صحراء قاحلة، هذا هو الخطر على الأمن القومي المصري، إنما بعض الفلسطينيين أخذوا قطعة من وطنهم ثم غدًا يغلبهم الآخرون ويأخذونها منهم مرة أخرى، ما الخطر في هذا؟!! هذا ليس خطرا ٣٠٠ عسكري أمن مركزي يوقفون أي خطر من هذه الناحية. فالزعم أن وجود حماس بحكومتها المنتخبة فلسطينيا على حدود مصر خطر على أمنها القومي هو في حقيقته كلام غير مسؤول، وربما كان غير واعٍ.

الخائفون على أمننا من حماس وهؤلاء لماذا لم يعترضوا على فتح، فتح أيضا مدعومة من نظام قوي ينافس مصر، هل مصر ليس لها منافس في المنطقة غير إيران؟! هل مصر ليس فيها قوة معارضة غير الإخوان المسلمين؟ هناك قوى كثير عربية وأجنبية تنافس مصر على دورها الإقليمي. وداخل مصر قوى سياسية معارضة كثيرة لها جماهيرها كما أن للإخوان جماهيريهم.

---

(٢٩) وقد حدث ذلك من بعد وأصيب ضابط ومدنيان مصريان بالقنابل الصهيونية ولم يُدِنْ أحد من أصحاب الأقلام أو ذوي الألسنة هذه الجريمة الصهيونية. فتأمل!!

طالما أننا نتكلم في الأمن القومي، المحور الصحيح لتوفير الأمن القومي المصري أن يكون هناك خط عربي/ أعجمي، يبدأ من مصر إلى تركيا إلى إيران، وخط عربي/ عربي، يبدأ من سوريا إلى مصر وينتهي في المملكة العربية السعودية، كان زمان يسمى دمشق القاهرة الحجاز، عندما أصبحت الحجاز جزء من المملكة العربية السعودية أصبح يسمى دمشق ـ القاهرة ـ الرياض، هذان الخطان لو وجدا، لو وجد تعاون إقليمي بين الثلاث قوى الكبرى (مصر ـ تركيا ـ إيران) وهي كلها دول يزيد عدد سكان كل منها على الـ ٧٥مليونًا وكلها دول لديها طاقة بشرية متعلمة هائلة، كلها عندها قاعدة صناعية وتعليمية أساسية واسعة وقديمة، من قرون طويلة من الزمان، كلها دول ذات تاريخ عريق وحضارة قديمة، مصر وتركيا وإيران، الخط العربي/ الأعجمي والخط الآخر العربي/ العربي، إذا قام التعاون بين دول هذين الخطين، ومصر هي القاسم المشترك بينهما، ينتهي أي خطر على الأمن القومي للمنطقة كلها، لا لمصر وحدها.

الأمر الثاني: أننا نحن من يستطيع أن يمنع الشرعية عن إسرائيل أو يمنحها إياها. لا حماس ولا الجهاد ولا الكتائب المقاتلة كلها. نحن المصريون الـ ٨٠ مليون مصري، هم الذين يستطيعون أن يمنحوا الشرعية لإسرائيل أو يمنعوها. لو وافقت الدول العربية الـ ٢١ كلها على فتح سفارات، وتطبيع علاقات، ووفود تذهب، ووفود تأتي، وبقي الشعب المصري على موقفه الرائع البطولي، الذي هو فيه الآن، ما شعرت إسرائيل بالأمان. إسرائيل لا تشعر بالأمان إلا إذا انتهى الأمر بينها وبين مصر إلى سلام حقيقي، وهو لم يكن حتى الآن، والحمد لله.

والموقف الوطني والديني الصحيح هو أنه لا يجوز لأحد أن يعطي شرعية للصهاينة، ليس بيننا وبين هؤلاء الصهاينة إلا العداوة إلى أن يخرجوا من أرضنا أو يندمجوا فينا، كما ذكرنا سابقا. لسنا نحن من سيندمج فيهم هم أقلية، نحن عندنا ٦ مليون فلسطيني مشرد إذا رجعوا يذوب الـ ٣ مليون إسرائيلي في وسط الـ ٩ مليون فلسطيني ٦ في الخارج و٣ في الداخل.

الأمر الثالث: هو أننا ندعو إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية .والحمد لله هذه الدعوة تلقى رواجًا كبيرًا في العالم الإسلامي كله. لكن أهم من ذلك أن محكمة القضاء

الإداري في مجلس الدولة أصدرت يوم الثلاثاء الماضي ٦/ ١/ ٢٠٠٩ حكما في الإشكال الذي كان مرفوعًا ضد حكمها بوقف تصدير الغاز إلى إسرائيل، ورفضت المحكمة وقف التنفيذ، وحكمت بالاستمرار في التنفيذ بمعنى أن الحكم أصبح واجب النفاذ، وكل يوم تأخير في تنفيذه مخالفة للقانون وتحدٍ للقضاء. وهذا الموقف الحكومي لا يجوز أن يصيب أحدًا منا باليأس. يكفي أن تتوالى هذه الأحكام ويتراكم أثرها القانوني والنفسي في قلوب المصريين، ثم سيأتي اليوم الذي يقدم فيه كل ذي جاه أو نفوذ أو سلطان إلى محكمة التاريخ ليحاسبه على أعماله ومواقفه.

الأمر الرابع: هو الموقف الفنزويلي العظيم: طرد السفير الإسرائيلي من كراكاس احتجاجًا على العدوان على غزة، ووزير خارجية فنزويلا ظهر على التلفزيون وسألته المذيعة لماذا طردتم السفير الإسرائيلي؟ قال لها «نحن لا نقبل أن يكون في بلادنا سفير لدولة مجرمة».

قالت المذيعة: كيف تقولون هذا؟ قال لها: «نحن ناس ثوريون وبيننا وبين العرب علاقات قديمة، ونحن لن نقطع هذه العلاقات بيننا وبين العرب». قالت له المذيعة: الحكام العرب عندهم سفراء قال لها: «إحنا مالنا.. نحن موقفنا كده» ولن يعود السفير الإسرائيلي مرة أخرى إلى فنزويلا إلا عندما تتحسن العلاقات مع فلسطين. ثم حذت بوليفيا حذو فنزويلا فطردت سفير إسرائيل من عاصمتها. ولم يستطع أحد من العرب صنع ذلك أصلا لكن دولتين، هما قطر وموريتانيا، (جمَّدتا) علاقاتهما بإسرائيل. والصيف على الأبواب وشمسه كفيلة بتمييع كل جامد أو مجمد (!!)

الأمر الخامس: سمعت أحد كبار المثقفين العرب، كبارهم جدا، مقامًا ومكانةً وسنًا، سمعته يقول كلامًا نفيسا جدًا على قناة الجزيرة، واحترمت كل ما قاله تقريبا لكنني خالفته في مسألتين: المسألة الأولى، أنه اعترض بشدة على أن حماس تحوِّل القضية من قضية قومية إلى قضية دينية، وقال: هذه قضية قومية عربية وليست قضية دينية. هذا كلام خطأ ١٠٠٪ يكفي أن نعرف: لماذا يحاربنا الصهاينة، ألا يحاربوننا بدعوى حقهم المقدس المزعوم، المنصوص عليه في كتبهم المحرّفة، في هذه الأرض؟ نحن حاربنا الصهاينة كل المرات.. أخفقنا كل المرات إلا عندما انتبه إلى أنه لابد أن يُعَدَّ الجيشُ معنويا كما كان يُعَدُّ عسكريا، والحقيقة أن الدين وسيلة في هذه الحرب، وسيلة لتقوية العقيدة، وسيلة لتقوية الإيمان

بالقضية، وسيلة لجعل المجاهدين والمقاتلين، يشعرون أنهم يقاتلون عن القضية الدينية العادلة. من الجانب الصهيوني هذه الحرب حرب إبادة، تُقْتَل أسرة بكاملها مثلما رأينا في قتل ١٣ فردًا من عائلة الدكتور نزار ريان وهو معهم، تضرب مدرسة أو مدرستين من مدارس الأنروا التابعة للأمم المتحدة ووكالة غوث اللاجئين، مسجد الشهيد إبراهيم دقماق يُدَكّ بالقنابل الفوسفورية على من فيه من المصلين منذ ثلاثة أيام، فهذه الحرب هي حرب إبادة. يتسلح فيها المجاهدون الفلسطينيون بالدين، والدين سلاح من أمضى الأسلحة في الحروب قديما وحديثا، ودخول العنصر الديني في عقيدة المقاتل يجعله يقاتل وهو موقن بأنه إلى إحدى الحسنيين إمّا النصر وإما الشهادة. خُلُوُّ القتال من العنصر الديني يجعلك تقاتل عن فكرة، عن أرض، من أجل راية، من أجل زعيم، من أجل علم، من أجل انتماء وطني أو قومي، وعندئذ لا تجد في نفسك هذه الروح الدافعة إلى الاستمرار في القتال إلى الحصول على إحدى الحسنيين.

فعلت مصر ذلك في حرب رمضان ١٣٩٣= أكتوبر١٩٧٣؛ صيحة الله أكبر هي التي حركت الدوافع الأقوى في قواتنا المسلحة، لكنها لم تأت من فراغ؛ صيحة الله أكبر أتت من تخطيط استمر مدة طويلة لجأ فيه الجيش المصري إلى رجال الدين المسلمين والمسيحيين لكي يقووا روح الجنود المعنوية، ويذكروهم بواجبهم في الدفاع عن الوطن، ويدلوهم على أن هذا الدفاع عن الوطن دفاع عن الدين نفسه، ولذلك كان الجندي والضابط المصري، المسلم والمسيحي، الاثنان يقاتلان بنفس القوة وبنفس الشراسة وبنفس الإيمان ليس بالوطن فقط بل بنفس الإيمان بالدين الذي يأمرهم بالدفاع عن الوطن. إذا لم يكن في الحرب عنصر إيماني تكون الموازين للقوة المادية البحتة. القرآن الكريم يقول: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٤٩] لماذا تغلب هذه الفئة القليلة؟ لأنها مؤمنة لأنها عندها عقيدة وليس لأي سبب آخر.

فالقول بأن هذه قضية قومية فقط وليست إسلامية / مسيحية هذا خطأ. هي قضية إسلامية/ مسيحية/ قومية في كل الوقت، الذي يؤمن بالقومية ينبغي أن يأخذ موقفا مماثلا للذي يؤمن بالإسلام والذي يؤمن بالمسيحية، لأن هذا اعتداء على قوميتنا واعتداء على إسلامنا واعتداء على مسيحيتنا، فلا يصح أن يقول أحد إن هذه قضية كذا وليست كذا، هي قضية تشمل الكل، وتجمع الكل، وينبغي على الجميع أن يكون في إطارها كالبنيان

المرصوص؛ مثلما تقول كتائب المقاومة عن نفسها الآن، تقول: نحن تحولنا إلى جسد واحد، والدم وحد صفنا وجعلنا قوة واحدة وليس عدة قوى كما كنا قبل العدوان.

الأمر السادس: أن الأستاذ المثقف الكبير ـ الذي احْتَرَمْتُ كل ما قاله وإن خالفته في هاتين النقطتين ـ ذهب إلى أن مشكلة حماس تكمن في شيئين، الشيء الأول أنها لا تعرف تحركات العالم. وأنا آسف جدا أنه قال هذه العبارة! لأن الذي يعرف تنظيمات المقاومة ويلتقي برجالها ويجلس مع المسؤولين السياسيين فيها يعلم أنه لا توجد قوة مقاومة في الدنيا تعرف العالم مثلما يعرفه حزب الله وحماس والجهاد. المسؤولون السياسيون في هذه التنظيمات المقاوِمة يدرسون، تقريبا بصفة أسبوعية، ما يجري في العالم. وأريد أن أقول للمثقفين العرب وللأستاذ الكبير، الذي أقول إنني أحترم كل كلمة قالها، إن الدول الأوروبية وإن عناصر أمريكية ليست بعيدة عن إدارة بوش المجرمة التي فعلت بنا كل هذا كانت طول السنتين الماضيتين، كانت على اتصال بحزب الله وبحماس وبالجهاد، وعلى اتصال بالكتائب المقاومة الأخرى، في محاولة لإنشاء جسر تحتي يمنع أن تقوم هذه الكتائب، ذات يوم، بالرد على إسرائيل إذا حاربتهم. طبعا هم لا يريدون مصلحة الكتائب المقاوِمةِ؛ هم يريدون أن يحيِّدوها حتى إذا قامت إسرائيل بما قامت به الآن لا تجد قوةً مقاوِمةً. وكتائب المقاومة أدركت هذا وقرأته قراءة مبكرة جدا وتصرفت على أساسه تصرفا يليق بها. إذن، هؤلاء لا يقال عنهم إنهم لا يعرفون العالم هؤلاء يقال عنهم إنهم يعرفون العالم أكثر من وزراء الخارجية الذين يقولون (اللي ما يسمعش كلامنا ذنبه على جنبه)، و(من سيدخل من رفح ستكسر رجله)، ومن يقولون (نحن موقفنا ثابت لا يتغير)، هل في السياسة شيء اسمه ثابت لا يتغير، الثابت هو عقيدتك فقط. الأستاذ الكبير عندما قال إن حماس لا تعرف العالم هذا كلام غير صحيح وإذا كان يعرف حماس، مثلما قال إنه يعرف قوى سياسية مقاومة أخرى، كان عرف أنها تعرف العالم معرفة جيدة جدًّا.

قال الأستاذ الكبير أيضًا: إن حماس تريد إقامة دولة دينية في فلسطين، وهذا كلام لا يصدقه أي متدين، أي متدين يعرف أنه لا يوجد في الدنيا الآن مسلم عاقل يقول أريد أن أقيم دولة دينية، هناك مسلمون كثيرون يريدون دولة تَحْكُم بالإسلام، أي بشريعته، وأنا منهم، هناك مسلمون كثيرين يريدون تطبيق القيم والأخلاق الإسلامية وأنا منهم، هناك مسلمون كثيرون يريدون أن يثقفوا الناس دينيا ويجعلوهم متحررين من سلطان

الظلمة والطغاة والمستبدين.. وأنا منهم، لكن إقامة دولة دينية أمر لا يخطر ببال أحد من عقلاء المسلمين. فالأستاذ الكبير أخطأ في هذا الأمر أيضا كما أخطأ في مسألة أن حماس لا تعرف العالم، كما أخطأ في مسألة أن هذه الحرب قومية وليست إسلامية، **هذه حرب فيها كل العناصر القومية والإسلامية والمسيحية، وحماس تعرف العالم معرفة جيدة، وهي لا تريد دولة دينية بل دولة ديمقراطية.**

❋ ❋ ❋

(٤)

اليوم الأخير

(٢٠ من المحرم ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩/١/١٧)

أتت المتابعين لشأن الحرب الصهيونية على أهلنا في غزة اليوم أنباء لم يزودوا لها أحدًا، ولم يتوقعوا لها وردًا.

فقد أعلن عن توقيع مذكرة تفاهم بين وزيرتي الخارجية الأمريكية والصهيونية، كونداليزا رايس وتسيبي ليفني ـ وكل منهما على وشك مغادرة منصبها بعد أيام ـ تضمن، في زعمهما، لإسرائيل الأمان من هجمات المقاومة الفلسطينية بالحيلولة بين فصائلها في غزة وبين أن يصل إليها أي سلاح أو ذخائر من البحر أو من البر. وفي سبيل ذلك اتفقت الوزيرتان على تخويل السفن الأمريكية والسفن التابعة لحلف شمال الأطلسي حق تفتيش جميع السفن والقوارب والزوارق العائمة في مياه الخليج العربي، وخليج عدن، والبحر الأبيض المتوسط، والبحر الأحمر، والمحيط الهندي بحثا عما يمكن أن تحمله من سلاح أو مواد عسكرية منقولة من أية جهة إلى المقاومة(!)

والمقصود (بأية جهة) هو إيران، بغير خلاف بين أحد من المدركين لحقائق العلاقات بين المقاومة الفلسطينية والنظم الحاكمة في منطقة الشرق الأوسط.

وتتضمن مذكرة التفاهم منع تهريب السلاح إلى غزة عبر مصر من الأنفاق المحفورة بين رفح الفلسطينية ورفح المصرية، وذلك بوضع رقابة دولية (=أمريكية) على الأراضي المصرية.

وقد فطنت مصر إلى خطورة هذا التفاهم الإسرائيلي الأمريكي، فسارع الرئيس حسني

مبارك إلى إلقاء كلمة أعلن فيها، بقطع وحدة، أن وجود مراقبين أجانب على الأرض المصرية خط أحمر لم ولن يقبل به، وأن مصر قادرة على تأمين حدودها مع إسرائيل وغزة. وقال الرئيس في هذه الكلمة كلامًا جديدًا سمعه الناس ـ والعالم ـ منه لأول مرة. قال إن العدوان يزيد صمود الشعب الفلسطيني، ويعمّق الغضب من إسرائيل والكراهية لها في العالم العربي، وإنه لن يوقف المقاومة، وإنه يقطع الطريق نحو السلام.

واعتبر المصريون هذا الكلام الرئاسي جديدًا، وهو كذلك. واعتبروه إعلانا لموقف مصري من الحرب الدائرة ضد غزة لم يعلن من قبل، ورجوا أن يستمر ويدوم. وطالب الرئيس مبارك في تلك الكلمة قادة إسرائيل بوقف العدوان فورا دون قيد أو شرط وبالانسحاب الفوري من قطاع غزة.

وتحدث في اليوم نفسه، السيد أحمد أبو الغيط، وزير الخارجية فقال إن مصر غير ملزمة باتفاق الوزيرتين.

وإن مصر لن تسمح لأحد بأن يعبث بأمنها.

وإن إسرائيل تبالغ في التعنت.

وإن استمرار الهجوم (= العدوان) الإسرائيلي لن يرهب العرب ولا الفلسطينيين.

وإن إسرائيل شربت من خمر القوة والعنف فأصبحت تريد صنع كل شيء بالقوة العسكرية.

وإن عملية غزة لم تحقق إلا القتل والمزيد من الشهداء الفلسطينيين.

وفي رد فعل سريع لمذكرة التفاهم بين الوزيرتين أعلنت فرنسا وبريطانيا وألمانيا أنها على استعداد لإرسال بوارج حربية لتأمين البحار من أن تنقل عبرها أسلحة إلى المقاومة الفلسطينية(!) وهو رد فعل تجاهلته تماما كل من أمريكا وإسرائيل.

دعا الرئيس محمد حسني مبارك، في كلمته، إلى عقد قمة تشاورية طارئة تعقد في شرم الشيخ بحضور رؤساء فرنسا وإيطاليا وتركيا وملك الأردن، ورؤساء وزارات أسبانيا وبريطانيا، والمستشارة الألمانية، ورئيس السلطة الفلسطينية (المنتهية ولايته) محمود عباس.

وبذلك تصبح هذه هي القمة (التشاورية) الرابعة حول غزة. عقد ت الأولى بصفة طارئة في العاصمة السعودية (الرياض) لملوك وأمراء وسلاطين الخليج العربي يوم الخميس ١٥/ ١/ ٢٠٠٩؛ وعقدت الثانية يوم الجمعة ١٦/ ١/ ٢٠٠٩ في العاصمة القطرية (الدوحة) بحضور بعض الرؤساء العرب والرئيس الإيراني أحمدي نجاد والرئيس السنغالي عبد الله واد بصفته رئيس الدورة الحالية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ووفد تركي برئاسة نائب رئيس الوزراء، ومبعوث خاص لرئيس أندونيسيا، وخالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس، والدكتور رمضان شلح أمين عام حركة الجهاد الإسلامي وأحمد جبريل الأمين العام للجبهة الشعبية ـ القيادة العامة.

وستعقد القمة الثالثة في الكويت يوم الاثنين ١٩/ ١/ ٢٠٠٩ للتشاور في شأن غزة على هامش القمة الاقتصادية العربية.

ولا مراء في أن الشورى من قيم الإسلام الأساسية، ومن مأثور تراثنا أنه: «ما تشاور قوم قط إلى هدوا لأرشد أمرهم». لكن العدوان الصهيوني على غزة يحتاج إلى قرارات عملية تتسم بالقوة والحسم لا بالإرجاء والتسويف(!)

في الموقف السياسي ينبغي أن نتذكر أن موقف المقاومة لم يتغير منذ أول ذكر لوقف العدوان، إذ كانت مطالبها الأربعة محل إجماع من فصائلها كافة:

الوقف الفوري للعدوان بكل أنواعه،

الانسحاب الكامل لقوات إسرائيل من قطاع غزة،

إنهاء الحصار الظالم المفروض على أهل غزة منذ أكثر من سنة ونصف السنة،

فتح المعابر كافة بما فيها معبر (منفذ) رفح.

الأسرى الفلسطينيون في سجون إسرائيل (نحو ١١ ألف أسير) أصدروا بيانًا أدانوا فيه بشدة تصريحات محمود عباس، رئيس السلطة الفلسطينية (المنتهية ولايته) التي حمل فيها على المقاومة واتهمها بأنها تفني شعبها، وقال البيان إن كلام محمود عباس يجعله شريكا في العدوان على غزة، وإن هذه التصريحات لا قيمة لها ولا تليق بمن كان يوما رئيسًا لسلطة فلسطينية يتكاتف أبناء شعبها جميعا في خندق واحد حماية للمقاومة ودفاعًا عنها.

وأضاف البيان، الذي سرِّب من سجن هداريم ونشر على موقع «القسام»، إن الأسرى في سجون الاحتلال «لا يعلمون ما شأن عباس بالمقاومة، وما علاقته بما يجري في غزة، ومن الذي استجداه ليعلن إن كان يريد المقاومة أم لا يريدها؟ وهو في كل الأحوال حدَّد مشروعه وأهدافه مسبقًا والآن انتهت صلاحيته كرئيس للسلطة ولَفَظَهُ شعبُه وعليه أن يرحل» [البيان منشور على موقع كتائب القسام ـ المكتب الإعلام، بتاريخ ١٤/ ١/ ٢٠٠٩].

ونشرت الجزيرة على موقعها الرسمي (الجزيرة.نت) في ١٦/ ١/ ٢٠٠٩ أن السلطة الفلسطينية تُحْكِمُ السيطرة التامة على مدينة الخليل وسواها من مدن الضفة الغربية. وقالت صحيفة لوفيجارو الفرنسية، نقلا عن أمين سر حركة فتح في الخليل، أيمن شراوي، إن «رئيس المكتب السياسي لحماس، خالد مشعل دعا لانتفاضة جديدة لكن هذا لن يحصل. الوضع تحت سيطرتنا، ولن تكون هناك فوضى». وهذا الكلام لا يحتاج إلى تحليل أو تعليق. وهو لا يعني إلا ما تناقلته عدة وسائل إعلام صهيونية من أن رئيس السلطة (المنتهية ولايته) هو أفضل شريك في عملية السلام يوثق به، وأنه يقوم في الضفة الغربية بالعمل كله، في منع المظاهرات والتحركات المؤيدة للمقاومة، نيابة عن القوات الإسرائيلية(!)

وكان الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي، الدكتور رمضان عبد الله شلح، موقف مطابق لموقف قيادات حماس من استمرار المقاومة، والشروط الأربعة لأي تهدئة مستقبلة أو لوقف إطلاق النار من جانب المقاومة. قال الدكتور شلح إن أحد مؤرخي الصهاينة كتب يقول: إذا كان إسرائيل تريد أن تستمر فعلينا أن ننتظر ألف عام من هذا الصراع، وإن المقاومة تقول لهذا المؤرخ إن غزة لم تسقط ولن تستسلم، ولن ترفع الراية البيضاء حتى لو استمر الصراع أكثر من ألف عام، لأن المعركة ليست على غزة، المعركة هي فلسطين كل فلسطين.

واعترض الدكتور رمضان شلح على بحث العدوان على غزة على هامش القمة الاقتصادية في الكويت، فقال: «نحن نأبى أن نكون مُلْحَقين، دمنا لا يمكن أن ينزل بجوار أحوال بورصة نيويورك وما يجري في سوق الأسهم، دمنا الفلسطيني ليس سلعة حتى يناقش كما تناقش أسعار العملات والبنزين والكاز والبورصات في مؤتمرات اقتصادية. دمنا الفلسطيني عنوان مستقل هو عنوان الشرف والعزة والكرامة لكل الأمة والعرب والمسلمين ولأحرار العالم».

الصهاينة يشكون من القصف الصاروخي المستمر من غزة على المستوطنات والمدن المحتلة. فقد أعلن وزير الزراعة الصهيوني في ١٤/ ١/ ٢٠٠٩ أن المزارعين في الأراضي القريبة من القطاع تكبدوا خسائر جمة من جراء القصف الصاروخي للمقاومة الذي يتواصل من قطاع غزة. وقد كان الهدف المعلن للحرب الوحشية على قطاع غزة هو «القضاء على المقاومة» ثم أصبح «إنهاء قدرة المقاومة» على إطلاق الصواريخ؛ ثم تراجع هذا الهدف إلى «إضعاف» هذه القدرة، وبدأ القادة العسكريون الصهاينة يصرحون بأنه إذا كان الهدف هو وقف إطلاق الصواريخ ووقف تهريب الأسلحة، فإن الخطوة الوحيدة التي تضمن ذلك هي إعادة احتلال قطاع غزة، لكن الحكومة لا تريد ذلك. وإذا كانت الحرب بعد ١٨ يومًا من العمليات العسكرية المكثفة لم تحقق الهدف المرجوّ منها فإن علينا أن نتجه إلى الخيار السياسي بالتوصل إلى تسوية لوقف إطلاق النار تحقق جميع أهدافنا دون وجود عسكري في قطاع غزة [حديث العميد احتياط شلوموبروم، الرئيس السابق لقسم التخطيط الاستراتيجي بالجيش الصهيوني، مع القناة السابعة العبرية يوم الثلاثاء ١٣/ ١/ ٢٠٠٩].

وفي اليوم نفسه، الثلاثاء ١٣/ ١/ ٢٠٠٩، كتبت صحيفة (هآرتس) العبرية أن «الحجة القائلة إن هدف الخروج إلى عمليات عسكرية هو تدمير منصات صواريخ المقاومة، بدأت تتصدع خلال هذين الأسبوعين. والشرعية التي أعطيت لها والتفهم الذي بدا لدوافعها أخذا يتبخران أمام صور القتل والدمار، وقد بدأت الاتهامات توجه للجيش بارتكاب مجازر».

ووصف بعض الجنود الصهاينة ما رأوه في غزة بأنه «الجحيم بعينه»، وقالوا إنهم اضطروا إلى إطلاق النار عند أول بادرة حركة، في أزقة غزة المظلمة، من شدة الهلع(!) وخاصة في ساعات الليل. ووصفوا الاستشهاديين والقناصة المنتمين للمقاومة بأنهم «أشباح يحبون العمل بالليل ويبرعون فيه، مما كان يثير الرعب في قلوبنا». وقال آخرون إنهم «ذاقوا الأمرّين من الشراك والخدع التي كانت تصنعها حماس، مثل المنازل المفخخة، والأنفاق التي سحب الجنود المخطوفين من خلالها... وهذه العملية لن تنجح إلا بتسديد ضربة قاضية إلى حماس وهو الأمر الذي لم يحدث بعد» [صحيفة التايمز اللندنية، ١٥/ ١/ ٢٠٠٩ تحت عنوان: شاهدنا الجحيم بعينه داخل قطاع غزة].

وكشفت صحيفة الجارديان اللندنية النقاب عن أن مئات الجنود الإسرائيليين رفضوا

القتال في غزة، ووصفوا ما يحدث في الحرب على غزة بأنه وحشي، وأن قتل المدنيين الفلسطينيين لا يمكن تبريره. وقال أحد الجنود للصحيفة إن التحق بالجيش اعتقادًا منه بأنه سيحارب «المنظمات الإرهابية» لكنه وجد نفسه مشاركًا في قمع الفلسطينيين الطامحين للحرية، وإخماد احتجاجات المزارعين ضد «نهب أراضيهم»؛ وقال إنه شاهد بنفسه تجاوزات الجيش الإسرائيلي ضد الفلسطينيين «كاستخدام المدنيين دروعًا بشرية». وبسبب هذه التجاوزات وأمثاله قرر «٢٧ طيارًا عدم تنفيذ عمليات لاغتيال قادة فلسطينيين بغزة» وقال الجندي نفسه «إن ممارسات الجيش تخلق على المدى الطويل آلاف الانتحاريين من أبناء وإخوة القتلى تؤدي إلى مزيد من الإرهاب». [مقال كريس ماجريل من تل أبيب، الجارديان ١٧/ ١/ ٢٠٠٩ بعنوان: نحن نصنع انتحاريين من أبناء القتلى].

وقد أثير موضوع جرائم الحرب الصهيونية على مدى الأيام الثلاثة والعشرين التي استمر فيها العدوان، وكان من أهم ما ذكر فيه كلام أستاذ أمراض الكلى المصري الدكتور محمد غنيم على قناة الجزيرة الفضائية يوم السبت ١٧/ ١/ ٢٠٠٩، إذ أكد استخدام إسرائيل أسلحة محرمة دوليا، وسلاحا، على الأقل واحدًا، «غير مصنف» اختصار اسمه الإنجليزي DIME وهو سلاح نووي صغير يؤدي إلى القتل بوحشية بالغة. وطالب الدكتور محمد غنيم منظمة الصحة العالمية بإرسال لجنة متخصصة للاطلاع على الأدلة المثبتة لاستعمال إسرائيل هذا السلاح وغيره من الأسلحة المحرّمة دوليًا.

ووصف الطبيب المصري، الدكتور أشرف محمد الذي كان في غزة ضمن وفد اتحاد الأطباء العرب، الشهداء والجرحى بأنهم: «يأتون إلينا وأجسادهم (سائحة) كالسوائل، وأجساد آخرين مقطعة وكأن سكينًا كبيرة قطعها». وقال رئيس الوفد الدكتور محمد عثمان: «يأتينا ضحايا وقد انفصل النصف السفلي من أجسادهم عن نصفها العلوي والشظايا لا تترك جزءًا سليمًا من الجسد». ووصف الدكتور أشرف محمد، عضو الوفد، سلاح DIME بأنه «لا يكتشف آثاره بواسطة الأشعة السينية، وهو شظايا تحترق باستمرار داخل الجسد المصاب وتؤدي إلى الوفاة دون أن تظهر آثار جروح خارجية واضحة» [إسلام أون لاين. نت ـ الأخبار، ١٤/ ١/ ٢٠٠٩].

❋ ❋ ❋

لقد أعلنت إسرائيل مساء يوم السبت ١٧/ ١/ ٢٠٠٩ أنها ستوقف إطلاق النار من جانب واحد اعتبارا من الساعة الثانية من صباح يوم الأحد ١٨/ ١/ ٢٠٠٩. وردت فصائل المقاومة بأنها ستوقف إطلاق النار من جانبها لمدة أسبوع يتم فيه الانسحاب الكامل من قطاع غزة ويُنهى الحصار وتفتح المعابر كلها.

كان عدد الشهداء في غزة قد وصل إلى نحو ١٣٠٠ شهيد منهم نحو ٤١٠ من الأطفال وأكثر من مائة من النساء(!) وعدد الجرحى بلغ نحو خمسة آلاف جريح منهم نحو ١٨٥٥ طفلا و٧٩٥ امرأة(!) وعدد الشهداء مرشح للارتفاع كل يوم بسبب خطورة جراح أعداد كبيرة من المصابين، وبسبب ما يتم اكتشافه تحت الأنقاض من جثامين الشهداء.

وقد تهدمت مئات البيوت، وما لا يحصى من البنية التحتية وبلغت الخسائر المادية في غزة ما قيمته مليار ونصف المليار دولار أمريكي. وكانت خسائر إسرائيل الاقتصادية المباشرة نحو مليارين ونصف المليار دولار، ولم تعلن إسرائيل بعد خسائرها العسكرية، لكن مواقع كتائب القسام وحركة الجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، وغيرها من قوات المقاومة تعطي صورة واضحة عن الخسائر العسكرية الصهيونية في ميدان القتال. وإذا كانت المعلومات المتوافرة على كل موقع تخص قوات المقاومة التي يتبعها الموقع فإن جمع هذه البيانات يؤدي إلى تصور قد يكون أقرب شيء إلى الحقيقة عن الخسائر العسكرية الصهيونية.

❋ ❋ ❋

(٥)

خاتمة

إن الصراع الذي بيننا وبين الكيان الصهيوني لا تزال أمامه عقود عديدة لكي يجري حسمه بانتصار الحق على الباطل. وهذا الصراع لا يحسم عسكريًا قبل أن يحسم عمليًا وحضاريًا. نحن في العلم أكثر تخلفًا من إسرائيل. نحن في التعامل الإنساني الحضاري داخل بلادنا لا نتعامل كما يتعامل الصهاينة بعضهم مع بعض. نحن في علاقاتنا بالمجتمع الدولي لا نستطيع حتى اليوم أن نقدم حقيقتنا، ولا أقول صورتنا إليه.

نحن مكبلون بأغلال الاستبداد في جميع البلاد العربية والإسلامية، الصهاينة عندهم حرية وديمقراطية دائمة منذ أقاموا إسرائيل حتى الآن، صحيح إنها حرية وديمقراطية لهم وحدهم لا لسواهم، لكنهم في هذا الباب أفضلا حالا منا في بلادنا كلها أو على الأقل جلِّها(!)

إن هذا الصراع الطويل، الحضاري، يحتاج مِنَّا أولا إلى التسلح بالعلم، ويحتاج منا ثانيا إلى التسلح بالحرية والديمقراطية داخل بلادنا، النضال في سبيل هذا نضال في سبيل تحرير فلسطين وفي سبيل إعادة المعادلة الإقليمية في المنطقة إلى نطاقها الطبيعي، يحتاج مِنَّا أن نُعِدَّ القوة الحقيقية: وهي القوة الفردية ثم القوة الجماعية. فهذه القوة هي عماد المقاومة العربية والممانعة الوطنية والقومية.

إن واجبنا أن نقوم بهذا الإعداد الذي سيستغرق عقودا، ومن يمت ويَلْقَ الله وقد أعد أبناءه أو أحفاده أو أسرته للسير في طريق مقاومة هذا العدو الصهيوني فقد برئت ذمته، من يعش منعمًا مكرمًا فليفعل ما يحلو له، فإنه سيحاسب عليه يوم القيامة «اعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به»؛ أما الذي يريد أن يلقى الله بريء الذمة فليفعل ما أقول ويبتعد ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]

قال لهم وأعدوا لهم ما استطعتم، لم يقل أعدوا لهم كل ما في الدنيا، لم يقل لهم هاتوا صواريخ مضادة للدبابات.. قال ما استطعتم إذا لم نستطع إلا إعداد أنفسنا إلا الإعداد العقلي والإعداد الثقافي فذلك هو الواجب علينا إلى أن ييسر الله له ما لم ييسره لنا فيعد القوة المادية مع القوة المعنوية، وعندئذ يرى هذا الجيل أن نصر الله قريب من المؤمنين. وهذه هي العقيدة القتالية لكل مصري وكل عربي وكل مسلم، ففي الحديث «من مات ولم يغز ولم يحدِّث نفسه بغزو مات ميتةً جاهلية».

ونحن في هذا الإعداد للمعركة الحاسمة مع العدّو لسنا في عجلة من أمرنا. نحن معنا حركة التاريخ ودروسه وعبره التي لا تكاد تخطئ. عكا عندما دخلها الصليبيون، أو من يسمون أنفسهم صليبيين، بقوا فيها ١٦٥ سنة ثم حررت؛ القدس بقوا فيها ٩٨ سنة ثم حررت؛ نحن تاريخنا مع هذا العدو المتعجرف، إن كان صهيونيا أو كان غربيا، تاريخنا معه تاريخ صراع مستمر إلى يوم القيامة ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾ [البقرة: ٢١٧] نحن إن شاء الله لن نرتد وسنبقى دائما قوة مُمَانِعة ومقاومة مستمرة إلى أن يحق الله الحق ويبطل الباطل وذلك وعده ـ سبحانه ـ الذي لا يتخلف.

* * *

إنني أكتب هذه السطور والمعارك الفعلية لم تنته بعد. والمقاومة أعلنت مرارًا أنها مستمرة إلى أن تحقق أهدافها المعلنة: تحرير كامل التراب الفلسطيني واستعادة الدولة المفقودة. وجميع الحلول السلمية المعروضة والمعقودة مصيرها أن تصبح هشيمًا تذروه الرياح مادام في الأمة شخص واحد يتخذ من المقاومة سبيلا إلى مواجهة العدو الصهيوني، أو يجعل الممانعة الذاتية القلبية والنفسية جزءًا من عقيدته التي يعيش بها وينشرها بين الناس، ولو كان هؤلاء الناس هم أهله وأولاده والأقربون.

وقتلى المقاومة والصمود في غزة شهداء، أحياء عند ربهم يرزقون. والموت في عقيدة المؤمنين مقدر لا يتقدم ولا يتأخر، وهو ليس عقوبة لذنب ولا جزاء معصية، إنما هو الأجل المحدد منذ الأزل ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. والذين يظنون أن العدو الصهيوني يستطيع العيش في سلام واهمون، فإن وقود حياة هذا الكيان هو العداء له يصطنعه اصطناعًا إذا لم يجده حقيقةً. وهؤلاء الصهاينة

﴿... وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨]. وهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة:١٠]. ولما التقى أسلافنا، مع صدق الإيمان، بأسلاف الصهاينة من يهود المدينة وظن بعض المؤمنين أن اليهود في منعة نزل القرآن يقول لهم: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر:٢].

فاعتبروا يا أولي الأبصار، فإن من اعتبر نجا، ومن غفل هلك.

نعوذ بالله من سوء الخاتمة؛

ونسأله ـ سبحانه ـ حسن العاقبة.

والحمد لله رب العالمين.

هذا الكتاب

- وقع العدوان الإسرائيلي الغاشم على مدينة غزة يوم ٢٠٠٨/١٢/٢٧ واستمر ثلاثة وعشرين يوما كاملة، فكان واجبا على كل قادر على الجهاد أن يخرج في سبيل الله مجاهدا بما يستطيع لصد هذا العدوان .
- ولما كان الجهاد باللسان جهادا في سبيل الله بالحجة والبيان، وهو كما قال ابن القيم: جهاد المؤمنين للكافرين والمنافقين، والقائمون به هم الأقلون بين الناس عددا، لكنهم الأعظمون عند الله قدرا؛ لأنه جهاد الخاصة وأتباع الرسل .
- وهذا الكتاب «غزة المقاومة والممانعة» ألقي أصله في ثلاث محاضرات، ونوقش بعض موضوعاته في ثلاثة لقاءات تلفزيونية بمناسبة هذا العدوان. ومكتبة الشروق الدولية تنشر هذا النص باعتباره من جهاد اللسان والقلم راجية أن ينفع الله به قارئه ويجزي كاتبه الجزاء الحسن .

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل .

الغلاف: تامر رجب

6 223002 000920